التناص فى شعر أحمد عبد الحفيظ شحاتة

الدكتور / عبد الحافظ عبد المنصف خليف

أستاذ الأدب والنقد المساعد

كلية اللغة العربية – فرع جامعة الأزهر

بالمنوفية

١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م

المقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان علمه البيان ، وصلاة وسلاما على خير ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه وسار على نهجه الى يوم الدين .

" وبعد "

فإن الثقافة مادة كل إبداع ، وما تفوق أديب عرفته البشرية إلا بالوقوف على إبداع سابقيه ، والاتصال به اتصالاً بقدر ما يحافظ على خصائص النوع الأدبى الذى يكتب فيه وأعراف الجماعة التى ينتمى إليها ، وبقدر ما يستوعب من تراث أمته وواقعها المعاصر ويبرز شخصيته بما هو مبدع متميز حتى يمكن القول إن كل نص أدبى هو حالة انبثاق عما سبقه من نصوص تماثله فى جنسه الأدبى ، وهذا الانبثاق ليس مجرد تقليد أو محاكاة فارغة المضمون ، أو إعادة لانتاج نصوص سابقة حيث يستطيع كل جيل أدبى أن يبدع شفرته المتميزة ، بل إن المبدع نفسة كفرد قادر على ابتكار شفرته ، التى تحمل خصائصه هو ، وهذه الأخيرة هى حالة التميز العليا التى لا يحققها إلا قلائل من المبدعين الذين يغيرون مجرى الأدب ويطورونه الى مد إبداعى جديد .

وقد أطل العصر الحديث على الأدب العربى بكثير من التجديدات التى أسهمت فى قراءة التراث بطريقة مواكبة للتطوير والحضارة ، كما ساعدت فى توجيه المبدعين الى العمل من خلال النظريات والمناهج التى تتوافق مع معطيات العالم الجديد .

وقد كان مصطلح " التناص " من أهم المصطلحات النقدية التى ظهرت فى الدرس النقدى فى النصف الثانى من القرن العشرين ، عند السيميائيين والبنيويين ، ثم رواد المدرسة الشكلانية الروسية وعلى رأسهم " باختين " .

ولم يكن النقد العربى بمعزل عن تلك التطورات النقدية التى لحقت الدرس الأدبى العالمى ، إذا كان رواده يرقبون من كثب التطور النقدى الذى شهده العالم الغربى ، وكانت الترجمة هى الوسيلة الأنجع فى نقل هذه الأفكار ودراستها فى العالم الشرقى .

فنقله جملة من النقاد العرب عن طريق الترجمة الى بيئتهم الجديدة ، وعملوا على نشره فى كل ربوع الوطن العربى فى مدة وجيزة ، ليتناوله الجميع كل حسب منهجه ومنطلقاته الفكرية فكانت النتيجة تعدد المسميات لمصطلح واحد – مثلما كان عليه فى الغرب قبل الانتقال – لكنها تدور كلها فى فلك المادة الأم ولم تبتعد عنها .

وإدراكا منى لدور التناص فى بناء القصيدة العربية ، عقدت النية على دراسة هذا الموضوع تحت عنوان " التناص فى شعر أحمد عبد الحفيظ شحاتة " ، وقد درسته من خلال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع .

فجاء المبحث الأول بعنوان " مفهوم التناص ونشأته عند العرب والغربيين " .

والمبحث الثانى : ألقيت فيه الضوء على الشاعر وتراثه الإبداعى .

وجاء المبحث الثالث بعنوان " التناص عند أحمد عبد الحفيظ شحاتة " .

وتناولت فيه التناص من الجوانب الآتية : –

أولاً :– التناص مع القرآن الكريم

ثانياً :– مع الحديث الشريف

ثالثاً :– مع السيرة النبوية

رابعاً :– مع الشعر العربى

خامساً :– مع الشخصيات التاريخية والمصدر التاريخى .

" وبعد " ..... فإنى بذلت جهداً لاتمام هذا البحث ، وإخراجه فى هذه الصورة ليسهم فى إضاءة جانب فنى من تجربة الشاعر " أحمد عبد الحفيظ شحاتة " فإن أكن أصبت فمن الله ، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى أجتهت فى تقويم رؤية من رؤى البناء الفنى فى شعرنا المعاصر .

" والله من وراء القصد وهو الهادى الى سواء السبيل "

المبحث الأول

" مفهوم التناص ونشأته عند العرب والغربيين "

مفهوم التناص

أولاً لغة :-اقترن فى المعاجم القديمة بمادة " نصص " ، وقد أخذ منها ما ذكره صاحب تاج العروس فى قوله " تناص القوم " أى " ازدحموا " [١]. وفى هذا إشارة الى مفهوم " التناص " ، إذ تجتمع النصوص فى مكان واحد ، وتتداخل فيما بينها ، كما يوجبه فعل الازدحام .

فهو " مصدر للفعل تناص " ، وفيه معنى المفاعلة ، ولم يستخدم كظاهرة نقدية إلا فى العصر الحديث [٢].

ويضاف الى معنى الازدحام معنى الانقباض كما فى قولك : " انتص الرجل : أى انقبض ، وتناص القوم : أى " ازدحموا " .

وقد وردت هذه الكلمات فى شعر السابقين بمعان متعددة ، ومن ذلك قول " امرئ القيس " فى معلقته :-

" تصد وتبدى عن أسيل وتتقى ⋆ يناظرة من وحش وجرة مطفل "

" وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ⋆ إذهى نصته ولا بمعطل " [٣]

فقد جاءت الكلمة فى البيت الثانى بمعنى الرفع .

أما بيت الأخطل الذى يقول فيه :

" ألا طرقت أروى الرجال وصحبتى ⋆ بأرض تناصى الحزن منها سهولها "

"وقد غابت الشعرى العبور وقاربت ⋆ لتنزل والشعرى بطئ نزولها "[٤]

فقد جاءت بمعنى التقارب والتداخل بين الأرض السهلة والأرض المتعرجة ، ولعلها تكون قريبة الصلة – بمفهومها العام – بمصطلح التناص الذى يحمل بين طياته تلك المعانى وزيادة .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس – مرتضى الزبيدى – ت / مجموعة من المحققين – ١٨ / ٨٢ – مادة – نصص – دار الهداية – الكويت – د ت .

(٢) المنجد فى اللغة– على بن الحسين الأزدى – ت / أحمد مختار عمر – ضاحى عبد الباقى – مادة – نصص – ٣ / ٢٢٢١ - ط – عالم الكتب – القاهرة ١٩٨٨م .

(٣) ديوان امرئ القيس – ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – ص ١٦ – دار المعارف – الثالثة – ١٩٦٩ م .

(٤) ديوان الأخطل – ت / فخر الدين قباوة– ص ٤٠٦ – دار الفكر المعاصر – بيروت – الرابعة – ١٩٦٩ م .

ثانياً : اصطلاحاً :-

تنوعت تعريفات التناص وتعددت نتيجة لاختلاف الترجمات والمدارس النقدية ، فقد عرفه " أحمد الزغبى " بأنه " الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافى لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص والأفكار مع النص الأصلى .....، لتشكل نصا جديدا واحدا متكاملا "(١).

ويقول عنه " عبد الله الغذامى " :" تناص النصوص أو النص ابن النص فكل نص هو وعاء يحوى نصوص سابقة وحاضرة مع النص الأصلى " (٢) .

وقد أطلق عليه " محمد بنيس " : " التداخل النصى ، أى تداخل نص حاضر مع نص غائب " (٣)

وقد عرفه " سعد يقطين على أنه " نتاج لبنى نصية سابقة يتعانق معها ويتفاعل فيها تحويلا أو تضمينا أو خرقاً "(٤) .

من خلال هذه التعريفات نستطيع أن نقول : إن التناص هو تشكيل نص جديد من نصوص سابقة ، يكون نتيجة طبيعية لاندماج هذه النصوص مع بعضها بعضا .

(١) التناص نظريا وتطبيقيا – أحمد الزغبى – ص ١١ – مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – عمان – ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

(٢) التناص " النشأة والمفهوم " جدارية محمود درويش أنموذجا –إيمان الشنينى – ص ٣٠٢ – مجلة أفق الالكترونية – العدد / ٣٨ – ٢٠٠٣ .

(٣) السابق – ص ٣ .

(٤) إفتتاح النص الروائى " النص والسياق " – سعد يقطين – ص ٩٨ – المركز الثقافى العربى – بيروت – الأولى – ١٩٨٩ م .

نشأة المصطلح عند الغربيين

يرجع الفضل فى ظهور هذا المصطلح فى الدراسات النقدية الحديثة الى الكاتبة البلغارية " جوليا كريستفيا " ، وهذا لا يعطيها الفضل فقط . بالرغم من أنه ينظر اليها نظرة الرائد – لتسميتها هذا المصطلح ، بل كان لها الفضل فى تحريكه وإعطائه حركية أسمى [١].

ومن ثم كان هناك اتفاق بين النقاد الغربيين على الاعتراف بأن مصطلح " التناصية " قدابتكرته الناقدة البلغارية " جولياكريستفيا " وليس " باختين " ، وقد ورد هذا الاتفاق فى كتاب " النص والتناصية " حين قال " سومفيل" :– " لنعمل على حل السر البسيط للأصل ، وليس مصطلح " التناصية " عند باختين وينبغى أن ننسب المصطلح لكريستفيا " [٢] .

" فكريستفيا " هى أول من طرح مصطلح التناص فى منتصف الستينيات من القرن الماضى من خلال أبحاث نشرتها فى مجلتى " تل كلونقد ، وأعيد نشرها فى كتابيها " السيمياء ، نص الرواية ، حين أكد أن كل قراءة تشكل بنفسها خطابا ، وذلك أن الكتابة تعنى ثلاثة عناصر هى :– النص والكاتب والمتلقى ، بالإضافة الى التناص ، ففى النص تناص ، والكاتب يمارسه واعياً أو غير واع ، كما أن القراءةتثير لدى المتلقى خبراته وذكرياته ومعلوماته السابقة ، فهو حوار بين النص وكاتبه ، وما يحمله الكاتب من خبرات سابقة ، كما أنه حوار بين النص ومتلقيه ، وما يملكه المتلقى من معلومات سابقة [٣].

(١) ينظر – مصطلح التناص فى خطاب محمد عزام " كتاب النص الغائب أنموذجا – عمر شادلى – ص ٧٥ – ط / جامعة قاصدى مرباح – كلية الآداب – الجزائر – ٢٠١١ م .

(٢) دراسات فى النص والتناصية– ليون سومفيل – ترجمة / محمد خير البقاعى – ص ٦١ – مركز الإنماء الحضارى – حلب – ١٩٩٨ م – ١٤١٨ هـ .

(٣) مصطلح التناص فى خطاب محمد عزام – ص ٣٧ .

وقد خاض فى غمار هذا المصطلح بعد " كريستفيا " الكثير من الباحثين – " كريفاتير وبارث ودريدا " ، وأسماء كثيرة لا حصر لها ، كل حسب وجهة نظره ، والمنهج الذى يشتغل عليه ، غير أن التناص ظل مطاطيا غير مقنن ، ولم يكتسب قيمته المنهجية ووضوحه إلا على يد الباحث الفرنسى " جيرارجينيت " الذى انتقل بالمصطلح انتقالا عميقا ، فإعتبره نمطا من أنماط العلاقة النصية (١).

وقد استعمل " جانيت " مفهوم المتعاليات النصية ليحل محل التناص ، فهو – وفق تصوره – أجمع وأشمل ويتسع لمختلف العلاقات النصية التى ليس التناص سوى واحد منها ، وحدد المتعاليات النصية فى خمسة أنواع هى :- معمارية النص ، والمناص ، والتناص ، والميتانص ، والتعلق النصى " (٢).

وقد تعددت تعريفات " التناص " عند النقاد الغربيين ، تبعاً لتعدد المناهج الذى تناولته بالدراسة ، والتى ينتمى إليها هؤلاء النقاد ، فقد استخدم هذا المصطلح فى- بادئ الأمر – باسم الحوارية ، وقد عرفها " تودوروف " " بأنها كل علاقة بين ملفوظين تعتبر تناصا ، فكل ناتجين شفويين ، أو كل ملفوظين يحاور أحدهما الآخر ، يدخلان فى نوع خاص من العلاقات الدلالية نسميها علاقات حوارية " (٣).

ويعرفه " مارك أنجينو " على أنه :- كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى يتحذر منذ ذلك فى تناص وأن الكلمة بالتالى هى ملك لكل الناس ، لآنها لا تدل على مسلمة من مسلمات الحس السليم لكل دراسة ثقافية " (٤) .

---

(١) التناص التراثى فى الشعر العربى المعاصر " أحمد العوضى أنموذجا " – عصام حفظ الله واصل – ص ١٦ – دار غيداء للنشر والتوزيع – عمان – الأولى – ١٤٣١ هـ – ٢٠١١ م .

(٢) التفاعل النصى والترابط النصى بين نظرية النص والإعلاميات – سعد يقطين – مجلة علامات – مجلد ٨ – العدد ٣٢ – ص ٢١٨ – ٢١٩ – صفر ١٤٢٠ هـ - مايو ١٩٩٩ م .

(٣) المبدأ الحوارى –باختين – ترجمة / فخرى صالح – ص ٩٤ – دار الشؤون الثقافية – بغداد – الأولى – ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(٤) دراسات فى النصف والتناصية– ليون سومفيل – ترجمة / محمد خير البقاعى – ص ٥٨ .

فحتمية التعايش والاحتكاك بالنصوص هى أيقونة التناص عند " مارك أنجينو " وذلك راجع الى استحالة استقلالية النصوص ، فالمعانى هى ملك لكل الناس ، لا يختص بها واحد دون الآخر ، فلا يمكن لأى شخص أن يبدأ كلامه من لا شئ ، بل لابد له من التفاعل والتأثر بالنصوص السابقة لتشكيل هذا النص الجديد ، فعملية التأثير بالغير والأخذ منه وتوظيف ذلك فى تجربة جديدة ، أمر لاحرج فيهولا بدعة ، والنصوص ليست حكرا على أحد .

أما " رولان بارث " فيعرفه على أنه :- " كل نص هو تناص ، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة ، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى ، إذن نتعرف على نصوص الثقافة السالفة والحالية ، فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة " (١).

فيرى " بارث " أن الأصل فى هذه العملية الابداعية هو " التناص " ، فلا يمكن أن يخلو أى نص من نصوص تظهر فى ثناياه بنسب متفاوتة غير مستعصية على الفهم بطريقة أو بأخرى ، تبرهن على ثقافة متعددة ، سواء أكانت سابقة أو حالية .

فخلاصة هذه التعريفات أن التناص هو :- تشكيل نص جديد من نصوص سابقة ، يكون نتيجة طبيعية لاندماج هذه النصوص مع بعضها بعضاً .

(١) دراسات فى النص والتناصية- ص ٣٨ .

التناص بين النقد العربى والنقد الغربى

إذا كانت نظرية " التناص " منهجا نقديا حداثيا غربيا ، فإن هناك أشعارا ونصوصا نقدية لشعرائنا وتقادنا العرب القدامى يفهم منها ادراكهم لهذه النظرية ، وسبق نقاد العرب لها ، مما يؤكد أنها صك جديد لعملة قديمة وإن اختلفت وجوهها ، ومن الأمثلة على ذلك .

أولاً فى الشعر العربى القديم :-

فطن الشعراء العرب منذ البداية الى هذه العملية التناصية ، والقائمة على التداخل النصى بين نصوص متعددة ، لانتاج النص الجديد ، يقول عنترة :-

" هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم " (١)

وينفى " حسان بن ثابت " السرقة عن شعره قائلاً :-

" لا أسرق الشعراء ما نطقوا * بل لا يوافق شعرهم شعرى " (٢)

وقد أخذ الشاعر العربى يبحث عن الأسباب لهذا الأخذ ومسوغات ذلك التفاعل ، فقال " زهير" :-

" ما أرنا نقول إلا رجيعا * ومعادا من قولنا مكرورا " (٣)

وفى هذا دليل على ترسم العملية التناصية فى ذهن هؤلاء الشعراء الأوائل ، من خلال انصهار النصوص مع بعضها بعضاً ، فاللاحق يأخذ من السابق كلاما يعد رجيعا وصدى للسابق ، وكأنه إعادة لهذه التجربة ، فلم يترك الشعراء ميدانا إلا تطرقوا إليه تطرقا يجعل من يأتى بعدهم يتناص معهم فى معانيهم وألفاظهم وتجاربهم المتشابهة ، فهذه ليست إغارة ولا سرقة ، وإنما انصهار عفوى يعود لمخزون ثقافى يملكه الشاعر ، يتوافق هذا المخزون مع شعره فى تجربته الجديدة ، فيجئ وكأنه معا دا ومكرورا ، وهذا كله يسمى بتفاعل النصوص وانصهارها ضمن علاقات ثقافية إنسانية ، وهو المعنى الذى أكده قول " جوليا كريستفيا " إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات " (٤).

(١) ديوان عنترة بن شداد – ص ١٥ – دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٧٨ م .
(٢) ديوان حسان بن ثابت – ت / وليد عرفت – ٢ / ١٧٧ – دار صادر – بيروت – ٢٠٠٦ م.
(٣) الديوان – شرح ودراسة / ابراهيم قميحة – ص ٦٦ – دار الشواف للطباعة والنشر – الرياض – الأولى – ١٩٨٩ م .
(٤) علم النص – جوليا كريستفيا – ترجمة – فريد الزاهى – مراجعة – عبد الجليل ناظم – ص ٧٩ – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب – الأولى – ١٩٩١ م .

ثانياً : فى النقد العربى القديم :-

أما نقادنا العربى القدامى فالمعانى عندهم نسبية لا يختص بها أحد دون غيره ، ولا يجرؤ أحد أن يدعى أن هذا المعنى الغريب له دون سواه ، يقول " الجاحظ " عن الشاعر وتفاعله مع اللفظ والمعنى السابقين عليه " فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه ، كالمعنى الذى تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم ، ولا يكون أحدهم أحق بذلك المعنى من صاحبه" (١) .

وهذا المعنى قريب جداً مما استند اليه " باختين " عندما أغلق الطريق أمام القول بإمكانية تفادى توجه الكلمة الى كلمة أخرى ، عندما قال :- " إن آدم هو الوحيد الذى كان بإمكانه تفادى هذا التبادل ويكون قد استثنى أول مخلوق على وجه الأرض " (٢).

فآدم الذى توجه بالكلمة الأولى الى عالم لم يكن يفتر عليه ، وهذا النص الذى استند إليه " باختين " يتطابق مع ماورد فى القرآن الكريم من تعليم الأسماء لأدم – عليه السلام – حين قال الله – سبحانه وتعالى " وعلم أدم الأسماء كلها "(٣) .

وجاء فى تفسير هذه الآية :- " والحاصل أن الله – سبحانه وتعالى – أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه مالم تعلمه الملائكة ، وخصه بالمعرفة التامة دونهم فى معرفة الأسماء والأشياء والأجناس واللغات " (٤).

وحين يلاحظ " عبد القاهر الجرجانى " ت ٤٧١ هـ ما يتميز به التركيب النحوى من خاصية دقيقة تعطية ثراء وغموضا حين يقول :- " إعلم أن ليس النظم أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التى فهمت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك ، فلا تخل بشئ منها ، وذلك أنا لا نعلم

---

(١) الحيوان – ت / عبد السلام هارون – ٣ / ٣١١ – دار الكتاب العربى – بيروت – د ت .

(٢) ينظر التناص فى شعر سليمان العيسى – نزار عيشى – رسالة ماجستير – كلية الأداب والعلوم الإنسانية / جامعه البعث – ص ١٨ – قسم / اللغه العربية ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ م .

(٣) من الآية (٣١) من سورة البقرة .

(٤) صفوة التفاسير – محمد على الصابونى – ١ / ٤٨ – دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – ١٩٩٣ م .

شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجئ به حيث ينبغى له " [١].

أى أن عملية التفاعل النصى لا يغفل فيها المبدع دور العلوم العربية فى استقامة اللفظ وسلامة الصورة ، من خلال الركون الى معطياتها المتعددة ، ذلك الركون الذى يمكن أن يعد نوعا من أنواع التفاعل العام مع النصوص ، حتى لو كانت تلك النصوص قواعد اللغة وقوانينها .

وقول " عبد القاهر " فى نظرية النظم هذه شبيه الى حد كبير بقول " رولان بارث " الذى يقول فيه :- " ليس لدى فاعل الكتابة أو القراءة ما يقدمه للعناصر (الآثار الفنية والملفوظات) ما يمكن أن يقدمه محصورا فى ميادين النصوص والتلفظات ، لأن فاعل الكتابة أو القراءة مقيد بترتيبة كلامية " [٢] .

وقد قرر أحد الباحثين المعاصرين أن " عبد القاهر " قد سبق " بارث " فى النظر المقروء والمكتوب ، فقال : " تحدث فى النص المقروء وميزه من المكتوب فسبق بارث " كما تحدث على فاعلية المتلقى وقدرته على فهم النص ، لآنه نظام لغوى له نظام ترتيبى وتأليفى خاص ، ودون أن يلغى مكانة المنتج ودوره فى إبداع نصه ، فالمتلقى يستطيع تأويل النص وتفسيره ، كما يمكن أن تتعدد مرات التلقى والتأويل ويتغير المتلقى " [٣] .

ويربط " عبد القاهر " نظرية التأويل بتغيير معنى اللفظ الواحد الى معان كثيرة حسب فهم المتلقى ، وفى هذا يقول : " واعلم أن الفائدة تعظم فى هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك ، من أنك تستطيع أن تنقل الكلام فى معناه عن صورة الى صورة من غير أن تغير من لفظه شيئا ، وأن تحول كلمة من مكانها الى مكان أخر ، وهو الذى وسع مجال التأويل والتفسير حتى صاروا يتأولون فى الكلام الواحد تأويلين أو أكثر ، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير" [٤] .

(١) دلائل الإعجاز – قرأه وعلق عليه / محمود شاكر – ص ٨١ – ٨٢ ط /مكتبة الخانجى – القاهرة – ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(٢) نظرية النص – رولان بارث – ترجمة / محمد خير البقاعى – ص ٤٦ – مجلة العرب والفكر العالمى – بيروت – الأولى – ١٩٨٨ م .

(٣) المسيار فى النقد الأدبى – حسن جمعة – ص ٤٦ – منشورات اتحاد الكتاب العربى – دمشق ٢٠٠٣ م

(٤) دلائل الإعجاز – ص ٣٧٤ .

ونرى ذلك عند المتأخر " ريفاتير " إذ يتفق فى تأويليته هذه فى كتبه الأخيرة عن الأسلوبية ، التى تبنى فيها مفهوم التناص كطبقة من التأويل المرتبط بأفكاره عن الوجوه البلاغية " (١).

وإذا كانت "كريستفيا " قد عرفت هذه العملية التناصية على أنها " تشرب وتحويل لنص أخر" (٢).

فإنها مسبوقة لهذا بما قاله " ابن خلدون " ت ٨٠٨ هـ " فى هذا المعنى الذى يقول عنه : " واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم ، وبالإكثار منه تتحكم ملكته وترسخ وربما يقال : إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ " لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هى صادرة عن استعمالها بعينها ، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها ، انتعش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة " (٣) .

فتتجسد معالم الامتصاص والتحويل من خلال طلب " ابن خلدون " نسيان هذا المحفوظ ، فتتم بذلك عملية التناص من دون وعى ولا شعور من خلال مخزون شعرى حفظه المبدع ثم نسيه ليأتى إليه عفويا فى تجربة جديدة ، تمحى فيها الرسوم الحرفية الظاهرة ، ليحل محلها الأسلوب وطريقة الآداء فتتحول العملية الإبداعية من نص الى أخر .

فالمبدع ابن بيئته يرثها كلها بثقافتها وعاداتها الاجتماعية والسياسية ، ويرث اللغة عمن سبقوه ، ويمر بمرحلة الرواية لمن سبقه ، حتى تكتمل موهبته فيخرج النص من طور النقد الى طور الإنشاء من خلال هضمه للموروث الثقافى لمن سبقه ، وإخراج نص جديد ، تتعدد فيه سبل الاشارة الى القديم ، إما بالرمز أو الايحاء أو التضمين أو الاقتباس ، وهذا ما قام به الشاعر الجاهلى حين نظم قصائده ، فكل مبدع يكتب منطلقا من لغته التى ورثها من سابقيه ومن أسلوبه ، وهو شبكة من الاستحواذ اللفظى ذات سمة خاصة شبه شعورية .

---

(١) ينظر " التناصية " – مارك أنجينو – ترجمة / أحمد المدينى – ص ٧٧ – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – العراق – ١٩٨٧ م .

(٢) علم النص – ص ٧٩ .

(٣) المقدمة – ص ٥٧٤ – دار إحياء التراث العربى – بيروت – د ت .

والكتابة أو الذوق الكتابى هو شئ يتبناه الكاتب وهى وظيفة بمنحها الكاتب للغة ، إنها ترابط من الأعراف والمؤسسة يمكن لفاعلية الكتابة أن تحدث فى نفسها وجودا فى داخلها " [١].

من خلال ما سبق يمكن القول : إن ظاهرة التناص قد ظهرت فى كتابات النقاد والشعراء العرب منذ الجاهلية والإسلام والعصور التالية استنادا الى المخزون الثقافى والمعرفى لدى هؤلاء المبدعين " فكانت نظريات توارد الخواطر ووقع الحافر موقع الحافر والتضمين والاقتباس وغيرها من المصطلحات التى يمكن أن تعد من باب التناص المباشر" . [٢]

أما غير مباشر فقد جاء عندهم فى مصطلحات المجاز والتلميح والتوليد والايحاء والكتابة والرمز وقد يدخل التضمين فى بعض صورة . [٣]

(١) الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية – عبد الله الغذامى – ص ١٢ – ١٣ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الرابعة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى – محمد عبد المطلب – ص ١٥٣ – بيروت – الأولى – د ت .

(٣) ينظر – انفتاح النص الروائى – سعد يقطين – المركز الثقافى العربى – الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

المبحث الثانى

أحمد عبد الحفيظ شحاتة

" سيرة وحياة "

أدركت حرفة الأدب الشاعر " أحمد عبد الحفيظ شحاتة " منذ صغره ، فهو شاعر وكاتب مسرحى ، وهو درة التاج وجوهرة العقد بين شعراء محافظة المنوفية المعاصرين ، ممن لم يفارقوها سكنا ومقاما ، يلتف حوله الشعراء فى المنتديات الأدبية ، يعرفون له قدره ويكنون له كل التقدير والاحترام لإبداعه وخلقه ، وبذله للحركة الأدبية من وقته وماله .

وقد كان من توفيق الله – سبحانه تعالى – لى أن قابلت الشاعر شخصياً قبل أن أحدد موضوع هذا البحث ، فاستوقفنى مشهد الصدق فى عينيه ونبرة الحزن فى صوته ، الذى بدا وكأنه يصدر من أعماق بعيدة ليست هى أعماق الشاعر " أحمد شحاتة " بقدر ما هى أعماق الحلم الإنسانى النبيل فى تاريخ البشرية ، الذى يتجسد فى أشخاصها النبلاء جيلاً بعد جيل .

والشاعر " أحمد شحاتة " من الشعراء البارزين الذين تسلموا راية الشعر من سابقيهم فى محافظة المنوفية ومصر فأعلى من شأنها كما علو هم بها . بكل ما تحمله هذه الراية من هموم وآلام وتفاوت على مستوى الحلم والواقع ما أودعه الله – سبحانه وتعالى – من موهبة ، كان لزاماً عليه أن يسخرها فى نفع الناس ، وفى إبهار عقولهم بكل جديد ومفيد .

مولده :-

" أحمد عبد الحفيظ شحاتة" شاعر مصرى معاصر ولد فى قرية كفر ميت أبو الكوم ، مركز تلا ، من أعمال محافظة المنوفية بمصر عام ١٩٤٤ م .

تعليمه :-

التحق " أحمد شحاتة" بكتاب القرية وهو فى السادسة من عمره كعادة أبناء الريف فى طفولتهم ، وفى العام نفسه التحق بالمدرسة الابتدائية بقريته ، وفى عام ١٩٥٦ م أتم حفظ القرآن الكريم وحصل فى العام نفسه على الشهادة الابتدائية بمجموع ٨٧ % وكان ترتيبة العاشر بين زملائه على المدرسة .

ثم التحق بالمدرسة الإعدادية بقريته وحصل منها على الشهادة الإعدادية عام ١٩٥٩ م .

ونظرا لظروفه الأسرية فى ذلك الوقت وحصوله على مجموع كبير يؤهلة للالتحاق بالثانوى العام إلا أنه التحق بالمدرسة الثانوية التجارية ليتخرج فيها عام ١٩٦٢ م .

وبعد تخرجه عمل محاسباً فى بنك التنمية والائتمان الزراعى بمدينة شبين الكوم ، وأخذ يتنقل بين فروعه فى محافظتى المنوفية والغربية حتى وصل الى درجة مدير عام بالبنك ، الى أن أحيل الى المعاش فى عام ١٩٩٦ م [١].

(١) من حديث مع الشاعر فى منزله بمدينة شبين الكوم بتاريخ 2019/3/10 م .

شعره :-

بعد قراءتى لشعره فى دواوينه المطبوعة ، وقفت فيها عند أفاق تجربة شعرية عميقة ، وقصائد تنافس بعضها البعض جمالا وشاعرية و رونقا ، وتبين لى " عنايته الفائقة المدققة لكل لفظ وصورة وجملة وتعبير وحركة وجدانية صادقة لافتعال فيها ولا تجميل ولا زخرف فى المضامين والأشكال لاستدرار الإعجاب ، مصغياً الى صوت وجدانه ونبرات حسه وخفقات قلبه " (١).

" ولقد زاوج شاعرنا بين الشعر العمودى والحر فى معظم نتاجه الشعرى المنشور فى دواوينه " (٢)، ومن شعره العمودى قوله من قصيدة " ضوء فى زهرة الجرح " :-

جرحى ينام ويصحو كيف أخفيه * وفيه سيدتى كالبحر ما فيه

يثير فى الليل ساعاتى فيشغلنى * وفى النهار يرينى جمرة التيه

قد راوغته طويلا وهو مختبئ * أيام عمرى فذابت فى حواشيه

صاحبته بزمان زاحم قلق * مشاكل الخطو أشتات أحاجيه

تداولتنى به الأحداث واشتبكت * علائق سافرت فى كنف حاديه (٣)

ومن شعره الحر قوله من قصيدة " من حديث عن أبى والدلتا " مما يدل على أصالة الشاعر وارتباطه بالأرض :-

كنت فى حضنها قطعة من بشاشتها

الناعمة

وهى تذكر لى

أن كل الخطأ لا تجيب

(١) ديوان – حريق الرماد وتراجيع الفؤاد – أحمد عبد الحفيظ شحاتة – ص ١٥٣ – ط / الهئية المصرية العامة للكتاب – ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م .

(٢) من أدباء المنوفية – عبد الرحمن البجاوى – ٢-٩ – دار الوثائق الجامعية – القاهرة – ١٤٣٣ هـ ٢٠١٣ م .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة – ص ٥٩ – دار الوثائق الجامعية – الأولى ١٤٣٧ هـ ٢٠١٧ م

وظلت تحدثنى عن أبى
كان من تفتح الأرض من أوجه الدمع
طلعا من الأونات اليباب
يمام حظى تستحيل حضورا
إذا لملم الدرب أحجاره
فى اشتعال الغياب
يضاحك فى رقة الطفل حزنالنوارس
فى بحرة للسحاب
أبا للنوازل
كل الظبا تتقيه
ويعرض عن كل طائشة
من نبال السفيه
كان ليل القرى ميتا
والنهار المطارد لا يستقيم
يوزع بهجته للخيل ويسقى الفسائل
ماء الردى
بينما
يحمل النهر دلتاه فى قبضة لا تفيق
وطير الملال المرقش فى وجهها
تحتويه الشقوق
ينام بها الصمت تكبو الرياح المواقيت فى نبضها
ثم ترسلها حرة فى الربيع(١)

وظل شاعرنا على هذه المزواجة بين الشعر العمودى الرقيق الأصيل الذى درجت عليه الذائقة العربية الأصيلة على مدى ستة عشر قرناً أو يزيد ، والشعر الحر الذى نجم فى القرن العشرين متحررا من القافية متأثرا بالشعر الأروبى حتى إذا وصل شاعرنا الى ديوانه

الأخير " كلمات الى قابيل " وجدناه يميل الى الأصالة ويغلب على ديوانه الشعر العمودى فى عودة الى الجذور ، " وذلك أن شاعرنا لم يرتبط بمذهب أدبى نابع من أيدلوجية معينة ، بل هو صاحب مشروع أدبى مستقل ينبع من تاريخ أمتنا العربية والاسلامية ، ويرتبط بتراثنا الأصيل لا يفرط فى ثوابتها ولا تتراخى قبضته وأصالته حتى وهو يكتب الشعر الحر " (٢).

ولعل هذا هو ما جعل الدكتور " هيثم الحاج على " ينعت تجربة شاعرنا بأنها تحمل " تناقضات على مستوى الشكل على الأقل وإن عاد فقال : إن هذه التجربة على الرغم من تناقضاتها تلك تبدو بشئ من التمعن متكاملة واضحة الأبعاد ، إذا قيست بمقياس الارتباط بالتراث ، بوصفه مكونا لافكاك منه وأن أمكن محاورة بعض ثوابته ورؤيتها بوجهة نظر مختلفة عما سبق " (٣).

(١) الأعمال الكاملة ص ٣٩ .

(٢) من مقدمة ديوان كلمات الى قابيل – " احمد شحاتة " – تقديم د/ بسيم عبد العظيم – ص ٩ – دار الوثائق الجامعية – الأولى ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م .

(٣) من مقدمة ديوان – حريق الرماد وتراجيع الفؤاد – ص ١٨ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٧ م .

فنونه الشعرية :-

يمثل الشاعر جزءا من خارطة الشعر العربى ، وأبرز ما يميزه تفاعله مع قضايا أمته وهمومها .

وشاعرنا أحد هؤلاء الشعراء الذى تفاعل مع قضايا وطنه وأمته ، رصدا وتسجيلا وتحليلا وتفسيرا ، وأول ما يطالعنا من شعره " شعره الدينى " فنراه وهو يتضرع الى المولى – سبحانه وتعالى –الذى بيده ملكوت كل شئ ، مؤكداً أن الله – سبحانه وتعالى – بيده كل أمر وأن القلوب معلقة بإصبعين من القدرة العليا وبأنس الله تسعد النفوس وتشفى الأوضار يقول :-

الهى رآك القلب والقلب محتوى * بأنسك يارب العباد يوقع

فأنت على الغيب المثبت تواجد * بحضرة إشهاد تقول وتسمع

فإن خشاش الأرض ما خاب ساعياً * وما لعقاب الجو ينحل مطمع [١]

وفى مقام الخوف من الله – عز وجل – يقول : –

أخافك يارب أخاف وأتقى * وخوفك ملاحى وبحرى وزورقى

أراك إذ مد الظلام سدوفه * يفد من الأسداف كل مرتق

يضئ فأمشى لا أراقب حيرة * بتاتا كأنى فى المدارج أرتقى

وخوفك إغضاء يفيض وميضه * سماحة معروف لنفسى ومنطقى

أعز به عز الهصور بغابة * وينأى عن الذل الممض تخلقى [٢]

وشاعرنا يذوب عشقا وشوقا الى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وآل بيته الطاهرين يقول :-

إليك خطو اشتياقى ياندى كدى * يابلسم الجرح لو يطغى على الجسد

روحى لدى نورك الباهى معلقة * يا قاتل الوهم والأسياف بالغمد

ترتد عن شطحات الزيف بادرتى * لم يشرد الطرف فى خزى ولم يحد

(١) قصيدة " هو الله " الأعمال الكاملة – ص ١٩

(٢) قصيدة " فى مقام الخوف " – د – على ضفاف النور – ص ٤٣ – دار الوثائق الجامعية – الأولى ٢٠١٥ م .

وكيف يشرد طرف أنت وجهته * يا ساحل الضوء منهلا بلا نفد [١]

ويقول عن الحسين – رضى الله عنه – وآل بيته الطاهرين :–

لم يله دهربهم أو تلعب الحقب * وما أقاموه على ضيم ولا كذبوا

أوفوا بما عاهدوا بالحق إذا وقفوا * شم الجبال لما لاقوه تتشعب

ما روعت لغة الإيمان فى دمهم * وروع البحر والأفلاك والشهب

أزجوا نجوم الهدى بالأفق سارية * كى يستضئ بها السارى إذا ذهبوا

من لى بقافية يختال منطقها * لو جئت فيها بمعنى تحفظ الكتب

هذا الحسين وبحر الضوء بحمله * شوقا بجانحة الإيمان ينسكب

هذا الحسين ربيب البيت حيدرة * تبرعم النور فى كفيه والأدب

هذا الحسين سما فى الله صارمه * وذو الفقار لخير الرسل ينتسب

نماه بيت العلا طهرا بدوحته * تأثل الشرف المحمود والنسب [٢]

وشاعرنا يحمل هموم وطنه وأحزانه وآلامه فيفرح بالنصر ويشارك فيه ويحزن للهزيمة ويحمل آلامها ، نرى ذلك من خلال قصائده " وحى الثورة " ، خواطر ، أغنيات سيناء ، سيناء أرض الفيروز ، كلمات الى قابيل ، وفى الهزيع الأخير ، وغيرها من القصائد التى تتغنى بالشأن العام المصرى والعربى والإسلامى ، وتحمل هموم هذه الأمة المكلومة ، وترسم طريق عزتها ونهوضها من جديد .

يقول فى قصيدة " من أغنيات سيناء " :–

ضمى وشاح النصر فوق الجيد * وصلى السماك برايتى وبنود

وترنمى بالنصر بعض نسيمه * آت من القدس الأسير وزيدى

قومى الى ركب الحياة قد انقضى * زمن الإسار على دم وشهيد

(١) قصيدة " محمد رسول الإنسانية - ديوان على ضفاف النور – ص ٥٧ .
(٢) من قصيدة الى الإمام الشهيد الحسين - رضى الله عنه –السابق– ص ١١٨

هذى الرمال الجرد كيف بقاؤها * قيد النواظر فى أسى وصمود [١]

وفى قصيدة " سيناء أرض الفيروز " يستعرض فيها تاريخ سيناء منذ فجر التاريخ حتى كتابة قصيدته بعد تحرير" سيناء " من رجس بنى صهيون ، " يقول فى مطلعها :-

تجرى القرون كأنها تتاسبق * وترف كالأطيار وهى تحلق

وتقهقه الأزمان فى صدر الربا * فيلملم الضحكات غيم مطبق

ويختمها بقوله :-

من فوقها التاريخ يولد كاملا * والكون فى غسق الجهالة موثق

من فوقها قاد الكتائب أحمس * قارتد مسلوب الفؤاد والأخرق [٢]

ويقول من قصيدة " نداء على مشارف القدس " :-

لو طال ليل الأسى ياقدس لاتهنى * لا الليل يبقى ولا الأحزان تحتكر

لو أسرف الجرح ياقدساه لا تهنى * إن الجراح قيود سوف تنكسر

هذا معى جرحك الدامى يعاظلنى * كأنه جمرة حمراء تستعر

ماذا ألا قى ؟ دمى فى الصبح مشتعل * وفى المساء سهام الحزن تشتجر

هم ساوموك جحاش الأرض بينهم * وقالة السلم ما أوفى بها الغجر

سلى تواريخهم بالغدر ناطقة * كم خالفوا الرسل بهتاناوكم غدروا

إنى نجيك ياقدساه فانبلجى * تكبيرة لزمان العرب تبتكر

صوت الرصاص جنون من مجنزة * ضاق الفضاء بها والموت والقدر

إنى نجيك لن أخشى فيالقهم * حلم الشهادة يغشانى وأنتظر [٣]

(١) ديوان / كلمات الى قابيل – ص ٥٦ .
(٢) السابق – ص ٥٦ .
(٣) ديوان – حريق الرماد وتراجيع الفؤاد – ص ١١١

وعندما قامت ثورة يناير ٢٠١١ م والتى باركها الشعب بكل أطيافه وألوانه اهتز وجدان الشاعر الذى عبر عن هذه الجماهير المحتشدة فى ميدان التحرير وفى ربوع جمهورية مصر العربية فقال: يا أيها الوطن التوت بك عصبة * فبكى الزمان وسيئت الأحقاب

قد قيدوك وأبعدوك وحاصـ * روك وأنت أنت الناهض الغلاب

شرا المآسى أن أراك مقيداً * هل ثم ليث قيدته ذئاب ؟

هل ثم تاريخ لأرض حرة * يلغى وينسى والغريب يثاب ؟ (١)

وفى رثائه نرى حزنا غامرا ، وعاطفة صادقة حزينة تفيض بها نفس الشاعر للأعلام والعظماء الذين تكون الفجيعة فيهم عامة ، ولا يختص عليه بالجزع طائفة دون أخرى يقول فى قصيدته " الى المسافر فى الغياب " والتى رثى فيها الدكتور " فتحى أبو عيسى " :-

مسافر أنت والدنيا على سفر * بيض المعانى هوت والعلم والأدب

لك البلاغة قد ألقت فرائدها * قس بن ساعدة من فيك ينتخب

لك البلاغة قد ألقت سحائبها * فيضا من النور للإسلام ينتسب

يبكى الكرام أبا عيسى بأعينهم * أم بالقلوب لهيب الدمع ينسكب؟

كأنما الأفق آماده تعب * كأنما البحر فى أمواجه عطب

والعلم فيض من الرحمن حامله * يفرى الضلال كما تفرى الدجى الشهب

تبكى الفصاحة شاديها ومنقذها * من الفهاهة بالآفاق تحترب (٢)

وسار على هذا النهج فى بقية أغراضه الشعرية كالغزل والمدح والفخر وغيرها .

(١) الأعمال الكاملة – ص ١٣٠

(٢) ديوان كلمات الى قابيل – ص ٣٧

عضويته للجمعيات والأندية الأدبية :-

١ – عضو اتحاد الكتاب المصرى .

٢ – عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية

٣ – عضو منتدى الإبداع الثقافى بالمنوفية

٤ – عضو نادى الأدب بقصر ثقافة المنوفية

٥ – عضو نادى الأدب المركزى بالمنوفية

٦ – عضو هيئة التحرير لمجلة صوت المنتدى بالمنوفية

٧ – عضو هيئة التحرير لمجلة هديل بالمنوفية والتى يصدرها قصر الثقافة بالمنوفية

٨ – عضو اللجنة العلمية لمؤتمر التعليم وتحديات القرن الحادى والعشرين بجامعة المنوفية

مؤلفاته:-

لشاعرنا مؤلفات كثيرة نذكرها مرتبة حسب تواريخ صدورها .

١ – ديوان رحلة خارج الأفق – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٢ – ديوان أغصاء الضوء – مطبعة غباشى – طنطا ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

٣ – ديوان الأبجدية والمدارات الأخر – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

٤ – ديوان حريق الرماد وتراجيع الفؤاد – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٥ – ديوان مطر الغياب – دار الوثائق الجامعية ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٣ م .

٦ – ديوان على ضفاف النور – دار الوثائق الجامعية ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٥ م .

٧ – ديوان كلمات الى قابيل – دار الوثائق الجامعية ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٧ م .

٨ –مسرحية شعرية بعنوان " محاولة قتل فكرة " طبعت ضمن ديوان كلمات إلى قابيل .

٩ – نشر شعره فى مصر والسعودية والمغرب والامارات العربية المتحدة .

١٠ – نشر فى مصر فى مجلات ابداع ، أدب ونقد ، الثقافة الجديدة ، الكلمة المعاصرة ، والرافعى ، وبعض الصحف الإقليمية .

١١ – نشر فى المملكة العربية السعودية فى :– الفيصل ، والمجلة العربية ، التوباد ، القافلة ، الخفجى ، الدفاع ، الحصاد ، الأدب الأسلامى ، الدرة .

١٢ – ونشر فى الإمارات العربية المتحدة فى :– شؤون أدبية ، المنتدى ، منار الإسلام .

١٣ – ونشر فى المغرب فى :– الوحدة .

١٤ – نشر فى المجلد الأول من معجم البابطين للشعراء العرب – ص ٢٦٦ سيرة ذاتية مع ثلاث قصائد بعنوان " ضوء فى زهرة الجرح " ، " دورة المروج " ، " من حديث أبى الدلتا " .

وشاعرنا – مد الله فى عمره – ما زال يعطى حتى كتابة هذه السطور .

المبحث الثالث

" التناص عند أحمد عبد الحفيظ شحاتة "

أولاً – التناص مع القرآن الكريم

ثانيا – مع الحديث النبوى الشريف

ثالثاً – مع السيرة النبوية

رابعاً– مع الشعر العربى

خامساً –مع الشخصيات التاريخية والمصدر التاريخى

التناص مع القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله المعجز ، الذى مثل مصدرا إعجازياً تحدى به فصحاء العرب وبلغاءهم ، وقد أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التى ابتدعها العربى شعرا ونثرا.

والقرآن الكريم أحد أهم مصادر التناص عند كثير من الشعراء ، إذ تشكلت من خلاله رؤاهم وأفكارهم ، وذلك لأن " التناص القرآنى يجعل الشاعر يميل بلغته الشعرية صوب أفاق التحليق بواسطة الإشارة والإيحاء ، فالإشارة القرآنية تغنى النص الشعرى وتكسبه كثافته التعبيرية ، وتعطيه تطابقاً بين وظيفة الإشارة وسياق المعنى " (١).

وللتناص مع القرآن الكريم شروط لابد من مراعاتها ، وذلك لأن " القرآن الكريم نزل باللفظ والمعنى ، ولأنه معجز بنصه وبيانه ، فيترتب على ذلك مراعاة كل الوسائل والأساليب التى تؤدى الى المحافظة عليه وحمايته من أى تحريف أو تبديل أو خطأ فى الفهم والتأويل ، ومن ذلك الالتزام بمعنى اللفظ القرآنى حسب السياق الذى ورد فيه ، فلا نعزله عن سياقه ونتلمس له دلالات ومعانى أخرى يتسع لها إذا كان مفردا مستقلاً ، وإنما يتحتم إذا قبسنا أحد ألفاظ الكتاب العزيز أن نحافظ على دلالته المناسبة لموضعه من الآية والسور ، وأن نورده فى موقف مشابه وموافق لتلك الدلالة(٢).

ونقف الآن مع الشاعر " أحمد شحاتة " فى قصيدة له تحت عنوان " لما تبدى الله للجبل " فنجده يتناص مع قصة سيدنا موسى – عليه السلام – فى حواره مع المولى – عز وجل – عندما طلب رؤيته – سبحانه وتعالى – يقول الشاعر :-

أرأيت موسى كيف خر ثباته ★ صعقا أمام الواحد المعبود

لما تبدى الله للجبل ارتمى ★ واندك من هول على الجلمود

قد شقت الصنم الصلاد مهابة ★ وهوت ذرا المطاول الممدود

وانحل موسى فى الضراعة تائبا ★ بعد الإقامة راكعا لحميد (٣)

(١) الصوفية فى الشعر المغربى المعاصر – محمد بن عمارة – ص ١٠ – شركة النشر والتوزيع – المغرب – الأولى – ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

(٢) إستلهام القرآن الكريم فى شعر أمل د نقل – د/ إخلاص فخرى عمارة – ص ٣٥ – دار الأمين – القاهرة – الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

(٣) ديوان / على ضفاف النور – ص ٢٩ – دار الوثائق الجامعية – الأولى – ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٥ م .

فالشاعر فى هذه الأبيات يتناص مع مضمون قصة سيدنا موسى – عليه السلام – التى وردت فى قوله– عز وجل – " **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين**[١].

فقد اشتاق موسى – عليه السلام – لرؤية ربه فطلب رؤيته – سبحانه وتعالى – فأجابه المولى – عز وجل – لن تستطيع رؤيتى فى الدنيا لأن هذه البنية البشرية لا طاقة لها بذلك ، ولكن سأتجلى لما هو أقوى منك ، وهو الجبل فإن ثبت الجبل مكانه ولم يتزلزل فسوف ترانى وإلا فلا طاقة لك ، " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا " أى فلما ظهر من نور الله قدر أنملة الخنصر ، اندك الجبل وتفتت وسقط موسى مغشياً عليه من هول ما رأى ، فلما أفاق من غشيته قال : تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد فى الدنيا تبت إليك وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك [٢].

ومن قصيدة بعنوان " نداء على مشارف القدس " نجد الشاعر تناص مع قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع قومه ، بعد أن تاب الله – سبحانه وتعالى – عليهم بعد عبادتهم للعجل ، عادوا مرة أخرى الى عنادهم وماديتهم وقالوا :– " **وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون** " [٣] .

قال الشاعر :

كم خالفوا الرسل بهتانا وكم غدروا
موسى الكليم وعيسى حينما دعوا
لله ما سبحوا بالحمد أو شكروا
لكنهم صعقوا إذ قال قائلهم
خذنا نرى الله ياموسى وما اعتبروا
هم كاذبون زريات نفوسهم

(١) ديوان على ضفاف النور – ص ٣٢ – دار الوثائق الجامعية – الأولى ١٤٣٥ هـ ٢٠١٥ م .
(٢) سورة الأعراف رقم ١٤٣ .
(٣) صفوة التفاسير – محمد على الصابونى – ١ / ٤٧٠ – دار القرآن الكريم – بيروت الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

مجبولة بجدال ملؤه البطر

كم عاث فيهم فساد الرأى فانقلبوا

وكم طوتهم مصيبات وما ازدجروا[١]

يبرز الشاعر فى هذه الأبيات أن وسائل الأنبياء فى الدعوة واحدة ، وأن استقبال أقوامهم لهذه الدعوة مشابه ، فضلا عن أن الدين من عند إله واحد ، وأنه قائم على أساس واحد وتبعا لذلك كانت ترد قصص كثيرة عن الأنبياء مكررة فيها طريقة الدعوة .

فطلبوا رؤية الله – سبحانه وتعالى – جهرة ، أى رؤيته – سبحانه وتعالى – واضحة يدركونها بجوارحهم ، عندئذ أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، فعندما اجترؤا هذا الاجتراء على الله أخذتهم الصاعقة ، ومع ذلك لم يتعظوا أو يزدجروا عن طغيانهم وضلالهم .

ومن قصيدة " كلمات الى قابيل " نجده يتناص مع مضمون قصة " قابيل وهابيل " التى وردت فى القرآن الكريم وصورت لنا أول جريمة قتل وقعت على الأرض ، قال تعالى : " **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين** " [٢].

يقول الشاعر :–

قابيل قد أسرفت يا قابيل ★ أرأيت شمس الحب وهى تميل

كادت لغفلتك الجبانة تمحى ★ وتكاد من فرط الشقاء تزول

أرأيت وجه أخيك مجندل ★ فوق الثرى وبه الدماء تسيل

أسمعته متأوها أناته ★ شقى الزمان بها وأنت ضليل

لم يرض إلا أن تبوء بإثمه ★ حين ارتضيت به وأنت جهول

(١) نداء على مشارف القدس – الأعمال الكاملة – ص ١٨٩ .

(٢) المائدة ٢٧ – ٣١ .

هل تستطيع بأن ترد حشاشة * سلبت يداك وهل يعود قتيل

لم تدر ما صنعت يداك ومنهما * حزن البرية بالزمان يطول

لما سننت القتل فى جنباتها * وجرى بها البهتان والتقتيل

ويتخذ من قصة قابيل وهابيل رمزا لما يحدث الآن فى الأمة الإسلامية من قتل وتشويه فى العراق وسوريا فيقول :-

قم وانظر الآن العراق وما بها * والقتل يجرى فى المدى ويحول

فيم القتال وللأخوة بينهم * حبل وثيق محكم مفتول

من ذا يعيد الى الخليقة رشدها * يبكى الفرات وفى يديه كبول

آه على حلب الكرامة والندى * ماثم سيف للحماة صقيل

فاترك بغاث الطير فى أحدوثة * شطحت على أرض السماء الغول !! (١)

فقد خيم الموت على كل شئ ، وخلف وراءه الجوع والبكاء والفناء الذى دب فى كل شئ ، ونجد الشاعر اختار شخصية قابيل بما توحيه هذه الشخصية فى الذاكرة الإنسانية من ظلم وقتل وفساد وأثرة وحب للذات التى ترتكز عليها النفوس المريضة ، والإنسان الذى تسيطر عليه الأنانية كشعور مرضى يعمل على هدم نفسه وهدم غيره أيضاً ، فيصبح عدو نفسه وعدو غيره من البشر ، ومن ثم يصبح الرادع الخارجى المتمثل فى الحكم التشريعى بالقصاص من مرتكب الجريمة زاجرا لأصحاب النفوس المريضة ، ووسيلة الى إقامة التوازن بين قوى الخير والشر ، والإعلاء من الخير وأهله ، والنيل من الشر وأهله ، وذلك كان القصاص فى الإسلام لمثل جريمة " قابيل " هو القتل " النفس بالنفس " ، وذلك لإحياء البشر واستمرار الحياة .

وفى قصيدته " أيتها القدس أطلى " والتى يقول فيها :-

أطلى بوجهك ياأولى القبلتين

ومدى اليدا

فصوتك فى جرحه قد سما

(١)قصيدة كلمات الى قابيل – د / كلمات الى قابيل – ص ٦١ – ط / دار الوثائق – القاهرة – الأولى ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م .

بالندا
أيا قبلة الحب فوق الشفاه
أقيمى الصلاة
فعيناك بحران من ألق طالعان
بموج الضياء
ترقرق بالطهر من خفقة الأتقياء
وما زال يومض عبر دروبك
خطو البراق
وصوتك الملائك والأنبياء
يجيبون ثانية يهتفون(١)

فى هذه القصيدة يستدعى الشاعر الى أذهاننا قوله تعالى : " **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حولة لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** " (٢).

ويعرض الشاعر من قصة الإسراء والمعراج لحظة نزول جبريل – عليه السلام – على الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو نائم فى الكعبة فأيقظه وأتى له بالبراق ، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل ، فركبها حتى أتى بيت المقدس ، فدخل – صلى الله عليه وسلم – وصلى فيه إماماً بالأنبياء .

ومن القصص القرآنى الذى تناص فيه الشاعر " أحمد شحاتة " قصة " أصحاب الفيل " وذلك فى قوله :–

شعثا أتوك حداهم الإيمان
والشوك والتسليم والإذعان
تاقت نفوسهم فهم بخطوهم

(١) الأعمال الكاملة - ص ١٨٧ .
(٢) سورة الإسراء - رقم ١ .

للبيت من أشواقهم تحنان
تركوا البلاد وراءهم واستقبلوا
بيتا به للقاصدين أمان
لما رآه الفيل أدبر راجعا
يعروه خوف مرعد وهو ان
بل قد رأى الأنوار فى أعتابه
تزهووفيها للعيون عيان(١)

يتحدث الشاعر عن المسجد الحرام فى أثناء الحج ، والمسجد الحرام هو مكان الكعبة المشرفة ، وهو أول مسجد وضع للناس فى الأرض منذ بداية الخلق ، فقد اختار الحق – سبحانه وتعالى –مكانا فى الأرض هو مسجده ، مصداقا لقوله – جلا جلاله – :– " **إن أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين** " (٢).

وقد تركوا بلادهم وأموالهم وجاءوا الى البيت العتيق فى لهفة وشوق الى هذا المكان المقدس الآمن ، قال تعالى : " **ومن دخله كان آمنا** "(٣) .

وهو خبر قصد به الإنشاء ، أى أمنوا أيها الناس من يدخله ولا تروعوه ، ومن روع حاجا أو لاجئا الى الحرم فقد أثم . وقد حاول " أبرهة الأشرم " هدم الكعبة ، فأرسل الله – سبحانه وتعالى– على أبرهة وجيشه طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فتساقطوا بكل طريق ، وهلكوا على كل منهل ، وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء فما مات حتى انصدع قلبه عن صدره ، وقد حكى القرآن الكريم عن ذلك فى سورة الفيل التى تناص معها الشاعر فى هذه الأبيات ، فقال تعالى : " **الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** " (٤).

(١) ضيف الرحمن – الأعمال الكاملة – ١٤١ .
(٢) سورة ال عمران رقم ٩٦
(٣) من السورة نفسها رقم ٩٧
(٤) سورة الفيل .

وفى قصيدته " سبحانه الله " يتحدث عن التوحيد ، وأن الله وحده هو الخالق وهو المستحق للعبادة وحده ، فلا معبود سواه ، وليس معه آلهة أخرى كما يزعم المشركون ، وأن كل من فى الوجود يسبح بحمده ، يقول :-

أدعو المليك الذى تخشى بوادره * والليل فى حماة التسبيح يجتهد

والأرض والبحر والفلوات ساجدة * وكل شئ سجا فالكون يتحد

كل الجزئيات باسم الله ناطقة * سبحانه الله لا يفنى ولا يلد

قد سبحته سهول وهى عاكفة * فجاوبتها حزون وهى ترتعد [١]

ففى هذه الأبيات نجد الشاعر تناص مع قوله تعالى " **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد .ولم يولد .ولم يكن له كفوا أحد** "[٢] .

وقوله تعالى " **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفورا** " [٣].

فا لكائنات تسبحه ، والسموات والأرض ومن فيهن من المخلوقات تنزهه وتقدسه، وما من شئ فى هذا الوجود إلا ناطق بعظمة الله ، شاهد بواحدانيته -جلا وعلا- وحين تشف الروح وتصفو تدرك من أسرار هذا الوجود مالا يدركه الغافلون ، ولكننا لا نفهم تسبيح هذه الأشياء لأنها ليست بلغاتنا ، والله تعالى حليم بالعباد لا يعاجل من عصاه بالعقوبة غفور لمن تاب ، ولولا حلم الله وغفرانه لأخذ البشر أخذ عزيز مقتدر ، ويقول فى قصيدتة " الوحى " :-

فالنداء من الحق بالحق إقرأ

طيور المواقيت تصدح : ماذا ؟؟

هو الله رب السموات والأرض

بوحى

(١) ديوان على ضفاف النور – ص ٥٣ .
(٢) سورة الإخلاص .
(٣) سورة الإسراء رقم ٤٤ .

الى خاتم الأنبياء
محمد يبسط كفيه
فى دهش
سمعه والكيان النقى
فيأخذه ثم يرسله الروح
فى حدب " باسم ربك"
يخرج للكون سيفا
من النور
يزجى الى العالمين الهدى
والندى والضياء "[١]

فى هذه الأبيات يتناص الشاعر مع قوله تعالى " **إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم** " [٢].

وهذا أول خطاب إلهى وجه الى النبى – صلى الله عليه وسلم – وفيه دعوة الى القراءة والكتابة والعلم ، لأنه شعار دين الإسلام ، أى إقرأ يا محمد القرآن مبتدئاً و مستعيناً باسم ربك الجليل ، الذى خلق جميع المخلوقات ، وأوجد جميع العوالم .

وفى قصيدته " رمضان موسم الحب والنور " والتى يقول فيها :-

رمضان من وافاك وافى المنتهى * مما يرام وعمه الرضوان
فاهنأ بفضل الله فى أيامه * وأنعم بليلة أنزل القرآن [٣]

(١) ديوان على ضفاف النور – ص ٧٢ .
(٢) سورة العلق رقم ١ : ٥ .
(٣) ديوان على ضفاف النور – ص ١١١ .

فنجده يتناص مع قول الحق – تبارك وتعالى – : " **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** " [١] .

فهى ليلة مباركة نزل فيها القرآن الكريم من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل الى الأرض فى مدة ثلاث وعشرين سنة ، وهى من الليالى المفضلة على سائر الأيام والشهور لما فيها من الأنوار والتجليات القدسية والنفحات الربانية التى يفيضها البارى – جلا وعلا – على عباده المؤمنين تكريماً لنزول القرآن المبين ، فهى ليلة عظيمة القدر ، وهى خير عند الله من ألف شهر .

ويقول فى قصيدة " من وحى الهجرة " :–

الجن أمن بالنبى وآمنت ⋆ به أيكة وحجاره صماء [٢]

فى هذا البيت نجد الشاعر تناص مع قول الحق – تبارك وتعالى– : " **قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** " [٣].

وفى هذا توبيخ وتقريع لقريش والعرب فى كونهم تباطؤا عن الايمان إذ كانت الجن خيراً منهم وأسرع للإيمان حين سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به ،ورجعوا إلى قومهم منذرين بخلاف العرب الذين نزل بلسانهم ، فإنهم كذبوا واستهزؤا وهم يعلمون أنه كلام الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويعلمون كذلك أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فشتان ما بين موقف الإنس والجن .

وفى قصيدته " مرثية الموت عشقاً " والتى رثى فيها ولده الذى أغتالته يدا الإرهاب وهو فى ريعان الشباب ، يخاطب الموت ويصوره وحشا يغتال كل نفيس وينال من الدرة المكنونة ، وكل صاحب خلق رفيع ، وعلم غزير ، وله تأثير فى التاريخ ، وذلك فى قوله :–

أيها المقتفى فرح القلب

ما تشتهى؟

عمرنا ؟! حلمنا؟!

كبرياء التاريخ فى شهقة الماء ؟!

صيرورة

(١) سورة القدر رقم ١ .
(٢) ديوان على ضفاف النور – ص ١٠٥ .
(٣) سورة الجن رقم ١

تتحدى انتزاعك

ما شئت منا

وتأبى الفناء ؟!

استقم كيفما شئت بين انتفائك

بين انتخابك !!

أنت لم تترك الأن صفواً

ولم تترك البحر رهواً "[١]

وفى هذه الأبيات نجد الشاعر يتناص مع قصة سيدنا موسى – عليه السلام – عندما أوحى الله تعالى إليه أن أخرج بينى اسرائل ليلا فإن فرعون وقومه يتبعونكم ويكون ذلك سبباً لهلاكهم واترك البحر ساكنا منفرجا على هيئته لأنهم سيغرقون فيه وذلك فى قوله تعالى :– " **واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون** " [٢].

ثم نراه يعبر عن الفقد ورفضه ويقول له : خذ ما تريد فأنت لم تترك لنا شيئا جميلاً ، فقد أصبحنا مكتوفى الأيدى أمام الموت عاجزين عن رده وذلك فى قوله :–

فلا الأرض بهجتها

فى يد الأوفياء

ولا البحر يعرف غير هسيس الجفاء

وليس سوى العصف والقصف

والريح فى مخبليها فتى شاعرا

حملته عوادى الهباء

ولات مناص ، ولات رجاء !!

(١) ديوان كمات الى قابيل – ص ٣١ .
(٢) سورة الدخان رقم ٢٤ .

والذى كنت أرجوه مات [١]

وفى هذه الأبيات نجده يتناص مع قول الحق- تبارك وتعالى-حكاية عن أهل مكة حين استكبروا وعاندوا عن الحق ، وآذوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – مبيناً لهم ما أصاب من كان قبلهم من المستكبرين ، فاستغاثوا واستجاروا عند نزول العذاب حين لم ينفعهم ذلك فقال تعالى : " **كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادو اولات حين مناص** " [٢].

(١) ديوان كمات الى قابيل – ص ٣٣ .
(٢) سورة ص رقم ٣ .

التناص مع الحديث الشريف

يعد الحديث النبوى الشريف المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى ، وهو كذلك من المصادر التى عكف الشعراء المحدثون فى هذا العصر على الاستقاء منها كما حدث مع المصدر الأول المتمثل فى القرآن الكريم ، فلم يغفلوا هذا المنهل ، ولم يكونوا بمنأى عنه ، من خلال توظيف أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – والتفاعل معها وذلك راجع الى ارتباط الشعراء بروح الدين الإسلامى ، فتأسوا بأقوال وأفعال رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – ،فتناصوا مع هذه النصوص النبوية ، ونوعوا من توظيفها فى أغراضهم المختلفة ، ليؤكدوا بها على مضمون قصائدهم ومغزاها ، من خلال التعرض لها من زاوية القدوة الحسنة ألا وهو رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – وإلقاء الضوء على أحاديثه التى فيها كثيرا من الدلالات والمعانى السمحة والبشريات التى تثلج قلوب كثير من المسلمين .

والشاعر " أحمد شحاتة " أحد هؤلاء الشعراء الذى تناص مع بعض أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن الأمثلة على ذلك قوله فى قصيدة " قطوف من شجرة الوحى " والتى مطلعها:–

نفحة من عرار ندى البحر

دفاقة

خطى الضوء فيها تمور

أرضا بها يا بلال التواريخ أزلامها تكسرت

فى النداء وزايلها الخسف والعصف

والتى يقول فيها :–

قامت بها الأرض

عصفورة من ضياء

وحورية من رجاء

" أرحنا بها يا بلال " الرمال تضئ "

ترشسنابلها فرحا

فى العواصم

والرياح سارية

والليالى
سبيل " (١)

ففى قول الشاعر " أرحنا بها يا بلال " الرمال تضئ " تناص مع قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذى رواه مسعر بن كدام ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبى الجعد قال : قال رجل : قال مسعر : أراه من خزاعة : ليتنى صليت فاسترحت فكأنهم عابوا عليه ذلك فقال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها " (٢).

والمعنى الذى يربط بين الحديث الشريف والقصيدة ، أن الشاعر يصور الحالة التى كان عليها العرب قبل الإسلام وبعده ، فقبل الاسلام كان الظلام مخيماً على كل شئ ، فانتشرت بينهم المنكرات والبغى وشتى صنوف المعاصى والآثام ، من شرب الخمر والتغنى بها ، ووأد البنات ، وعبادة الأصنام وأكلمال اليتيم ، والظلم المنتشر فى جميع ربوع الحياة .

وأتى الاسلام فأكد على وحدة الإنسانية ، وأنه لا فضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى والإيمان والعمل الصالح ، كما نهى عن القبلية والتحزب حينما أكد على معنى الأخوة فى الاسلام ، فكل عباد الله إخوان ألف الله بين قلوبهم بفضله تحت ظلال الإسلام الوارفة ، وأسس منهجا ربانياً كاملاً فى التشريع والأخلاق كفيلاً بأن يحقق السعادة للناس جميعاً فى الدنيا والأخرة .

وعندما يصيب الإنسان الكلال والتعب من أعباء الحياة ، عليه أن يفر الى الصلاة ، كما قال – صلى الله عليه وسلم – " قم يا بلال فأرحنا بالصلاة " فإن فيها الراحة من تعب الأعمال الدنيوية ، وذلك لما فيها من مناجاة الله – سبحانه وتعالى – واشتغال القلب بها .

" اسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين " ، رواه الدار قطنى فى العلل –٤ / ١٢١ ، وأحمد فى المسند رقم ٢٣٠٨٨ والخطيب فى تاريخه ١٠ / ٤٤٣ .

(١) ديوان على ضفاف النور – ص ٧٤ .
(٢) سنن أبى داود – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى – ت / شعيب الأرنؤوط– محمد كامل قرة– ص ٢٥٥ – دار الرسالة العلمية – الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

ويقول فى قصيدة " دع الأحزان تمضى " :-

حياتك ملكك اليوم اغتنمها * فليت إن مضت يوما تعود ؟

غدا تطوى الليالى ثوب عمرى * كما يطوى الكراريس الوليد !! [١]

فى هذه الأبيات يتناص الشاعر مع الحديث الشريف الذى رواه عبد الله بن هند عن أبيه عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :- " اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك " [٢].

والمعنى الذى يربط بين الأبيات والحديث الشريف أن الشاعر ينبه الإنسان ، أن يستغل حياته فى عبادة الله – سبحانهوتعالى – والتقرب له والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والسير على سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل أن يهرم ويصبح غير قادر على آداء العبادات .

ويبتعد عن البخل وحرمان النفس ، وأماكن اللهو والفجور ، لأن من سنن الحياة أن يفارق الانسان المال أو أن يفارق المال صاحبه ، فعلى الإنسان أن يستمتع بماله قبل أن يفقر ويموت .

عندئذ سيشعر بالحسرة والندامة عندما يكون بين يدى ربه – سبحانه وتعالى – ويطلب العودة الى الحياة الدنيا ليقدم ما يرضى الله ويسعده .

ويقول فى قصيدة " محمد رسول الإنسانية " والتى مطلعها :-

إليك خطو اشتياقى ياندى كمدى * يابلسم الجرح لو يطغى على الجسد[٣]

يقول فيها :-

يا ابن الذبيحين نورك فى ذرى شغفى * معشوشب العطر حلو الوقع فى خلدى

---

(١) ديوان – كلمات الى قابيل – ص ٦٨ .

(٢) رواه النسائى فى السنن الكبرى ، وابن أبى شيبة فى مصنفه ،على شرط البخارى ومسلم المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم بن عبد الله النيسابورى – ت / مصطفى عبد القادر عطا – ١ / ١٥٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م . حديث رقم ٦٨٤٦ .

(٣) ديوان على ضفاف النور – ص ٥٨ .

ففى البيت تناص مع حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم – عندما جاء إليه أعرابى وقال : " يارسول الله إخلفت البادية يابسة ، والماء يابسا ، هلك المال ، وضاع العيال ، فعد على بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين ، فتبسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم ينكر عليه [١].

ويبين الشاعر قوة حبه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذى فاق كل شئ ، وتغلغل فى كيانه وسرى فى عروقه ، ونوره الذى أضاء ما بين المشرق والمغرب ، وعطره الفواح الذى غمر المكان بأكمله.

ويقول فى قصيدة " على ضفاف النور " والتى مطلعها :–

إليك أفر من ذاتى وأهلى ⋆ فرار الآبق المضنى المقل

يقول فيها :–

لك العتبى !! إذا أتيت ذنباً ⋆ يباعد عن رضاك بسوء جهلى [٢]

فى البيت تناص مع " الحديث الشريف " الذى رواه "عبد الله بن جعفر– رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال :– لما توفى أبو طالب خرج النبى – صلى الله عليه وسلم – الى الطائف ماشيا على قدميه فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، الى من تكلنى الى عدو يتجهمنى أو الى قريب ملكته أمرى ، إن لم تكن غضبان على فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك " [٣] .

---

(١) المستدرك على الصحيحيين ٢ / ١٥٠ .
وقال الألبانى : حديث – " أنا ابن الذبيحين " لا أصل له بهذا اللفظ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ فى الأمة – لأبى عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألبانى – ١- ١٤٤ – دار المعارف – الرياض – الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م . حديث رقم ٣٣١ .

(٢) ديوان / على ضفاف النور – ص ٣٥ .

(٣) أخرجة الطبرانى فى الدعاء – حديث رقم ١٠٣٦ مرسلا من حديث عبد الله بن جعفر واللفظ له ، والخطيب البغدادى فى الجامع لأخلاق الراوى ، وابن عدى فى الكامل ، والضياء المقدسى فى المختار . وغيرهم .

والمعنى الذى يربط بين الأبيات والحديث ، يبين فيه الشاعر أن العبد أحياناً تضيق عليه الدنيا وتغلق فى وجهه جميع الأبواب ، ويرى وضوح عجزه هو عن تغيير ما حوله ، أو رفع الظلم الواقع عليه أو رد مكر وكيد الكافرين والفاسقين والفاجرين فلا يجد أمامه إلا أن يلجأ الى الله – سبحانه وتعالى –

ذلك الركن الوثيق ، يشكو إليه ضعف قوته وقلة حيلته ، وهوانه على الناس ، ويسأله أن يمده بمدده ، وأن يعينه بقوته ، وألا يدعه. نهبة لأعدائه أعداء الدين وأن ينصره هو بأسباب نصره التى لم يعد فى نفسه قدرة على الانتصار .

عندها يأتى من اللطيف المدد ويتنزل من العزيز النصر ، ويأتى من عند الحكيم الفرج ، فهى دعوة لكل أصحاب الكروب ومواقف الضيق أن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا .

التناص مع السيرة النبوية

التناص مع السيرة النبوية

والسيرة النبوية هى :- ما تم تدوينه ونقله للعصور المتلاحقة حول حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وما شهدتها من أحداث حتى وفاته .

وهى الوسيلة الوحيدة للتعرف على الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن قرب واستيعاب أبعاد شخصيته من خلال التفاصيل الواردة فيها .

وتساعد المسلم على استيعاب القرآن الكريم وفهمه ، وذلك من خلال ارتباط معظم الآيات الكريمة بأحداث مرت فى حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم -.

وتعد أنمو ذجا فعالا لتنشئة المسلم تنشئة سليمة وتعليمه أحكام الإسلام فيتخذ من الرسول – صلى الله عليه وسلم – خير معلم ومؤدب ، وتمنح المسلم القدرة على فهم العقيدة الإسلامية واستيعاب القرآن الكريم وفهم أحداثه .

وتبدأ السيرة النبوية من لحظة ولادته – صلى الله عليه وسلم – فى الثانى عشر من ربيع الأول عام ٥٧١ م مروراً بتفاصيل وأحداث ثلاثة وستين عاماً حتى وفاته– صلى الله عليه وسلم – فى السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية الشريفة .

وقد تناص الشاعر " أحمد شحاتة " مع بعض أحداث السيرة النبوية وذلك على النحو الآتى :-

<u>أولا مولد الرسول – صلى الله عليه وسلم :-</u>

وقد تناص الشاعر مع الأحداث التى ذكرتها كتب السيرة النبوية والتى صاحبت مولده – صلى الله عليه وسلم – وما حدث فيها من خوارق العادات إيذانا بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى قوله:-

" لما ولدت إمام النور قد حملت * كف الملائك فى طهر وفى شمم

والأرض ترنو لها الأفلاك حاسدة * إن البشير أتى يفرى دم الظلم

والبشريات انتحت فى كل ناحية * شؤبوب مرحمة قد طاف بالحرم

جبريل يزهو بما للأرض من شرف* قد حل آن الهدى والذكر والحكم " [١]

(١) قصيدة " محمد رسول الإنسانية " – د/ على ضفاف النور – ص ٦٤ .

فالشاعر يتناص مع ما جاءت به كتب السيرة النبوية ، من أخبار عطرة صاحبت مولد النبى الكريم فالأرض قد لبست قشيب ثيابها ابتهاجاً بمولده – صلى الله عليه وسلم –" فارتجف إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام . وغاصت بحيرة ساوة " (١) .

وجبريل مبتهج بما حدث للأرض من شرف الهدى والقرآن الكريم ، وكلها أحداث لا تقع إلا لأجل شئ عظيم حدث ، استدعاها " أحمد شحاتة " كى يبين مكانة نبيه ويبرز قيمته التى اهتزت الدنيا إجلالاً لها وهذا لا يحدث إلا لأجل ميلاد عظيم ما رأت الدنيا مثله .

ثانياً الإسراء والمعراج :-

أيد الله – سبحانه وتعالى – رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – بمعجزات كثيرة ، هذه المعجزات بعضها مادى يراه الناس مثل نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، وكان الغمام يظله أينما سار ، وانشق له القمر وغيرها كثير .....

ولكن هناك معجزة كبرى لم يتح لبشر أن يطلع عليها بلغ فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سدرة المنتهى ، وتجاوزها ليرى الآية الكبرى فى السموات ، ووصل – صلى الله عليه وسلم – إلى منزلة أعلى من منزلة جبريل – عليه السلام – ، وهى معجزة الإسراء والمعراج .

فما من نبى صعد إلى السموات حتى بلغ سدرة المنتهى وتجاوزها ثم عاد فى نفس الليلة ليكمل حياته على الأرض إلا خاتم الأنبياء والمرسلين – محمد صلى الله عليه وسلم – .

ولقد تناص الشاعر " أحمد شحاتة " مع معجزة الإسراء والمعراج وذلك فى قوله :-

لما ارتقيت براقا فى أعنته * ومض الثريا وفيه العصم والرخم
جمع النبيين ابراهيم بينهم * قد قيدوك إماما طيب الأمم
ثم ارتقيت إلى العصماء سدرته * من قاب قوسين أو أدنى ولم ترم
لما ارتقيت حييت الوصل تكرمة * أولاك من كرم ما شئت من نعم
نلت الشفاعة يوم الدين تسأله * والناس فى شغلهم ضاقوا من الألم " (٢)

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأحواله من المبدأ والمعاد – محمد بن يوسف الشامى – ت / عادل عبد الموجود – على عوض – ١ / ٣ – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٧ م .

(٢) ديوان / على ضفاف النور – ص ٦٥ .

فتناص مع العديد من أحداث " الإسراء " فذكر البراق وسرعته ثم صلاته بالأنبياء إماما فى المسجد الأقصى ، ثم ذكر من رحلة المعراج وصوله– صلى الله عليه وسلم – إلى سدرة المنتهى ، أعلى المراتب التى لم يصلها كائن فى الكون إلا النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – ومناجاته المولى – سبحانه وتعالى – وحصوله على الشفاعة للأمة الإسلامية خير الأمم التى أخرجت للناس .

ثالثاً الهجرة النبوية الشريفة :–

والهجرة النبوية حدث تاريخى وذكرى ذات مكانة عظيمة فى نفوس المسلمين ، فقد أذن الله – سبحانه وتعالى – لنبيه – صلى الله عليه وسلم – فى السابع والعشرين من شهر صفر من العام الثانى للبعثة ٦٢٢ م بالهجرة ، بسبب ما كانوا يلاقونه من أذى من زعماء قريش وخاصة بعد وفاة كل من أبى طالب ، والسيدة " خديجة " – رضى الله عنها – ، وتم اتخاذ الهجرة النبوية بداية للتقويم الهجرى بأمر من الخليفة " عمر بن الخطاب "–رضى الله عنه – بعد استشارته بقية الصحابة فى زمن خلافته .

وهى من أحداث السيرة النبوية التى تناص معها الشاعر ، وذلك فى قوله :–

هم بيتوا الغدر شر عصابة * مردا تلم خطاهم البغضاء

وقفوا ببابك رصدا وعيونهم * مفتوحة وعن الهدى عمياء

لم يبصروك وقد خرجت عليهم * تحثو التراب ولفهم إغفاء

سنة الكرى مسحت ضياء عيونهم * فهم بذل ظلامها سجناء " [١]

فالشاعر يتناص مع حدث من أحداث الهجرة النبوية وهى لحظة خروج المصطفى – صلى الله عليه وسلم – من البيت ، وقريش مجتمعة على بابه – صلى الله عليه وسلم – من بين أيديهم وهو يحثو على رؤوسهم التراب ، تاليا قوله تعالى :– " **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سداً فأغشيانهم فهم لا يبصرون** " [٢].

(١) ديوان على ضفاف النور – ص ١٠٦ .
(٢) سورة يس رقم ٩ .

التناص مع الشعر

وأما التناص مع الشعر العربى فقليل عند الشاعر " أحمد عبد الحفيظ شحاتة " وربما كان السبب فى ذلك هو رغبته الدائمة فى التجديد ، فهو لا يقف أمام وضعية واحدة متحجرة فى الكتابة ، ولا ضير من استدعاء واستلهام الشعر القديم وجلبه الى القصيدة ، ما دام موظفا التوظيف الجيد ، ومتعانقاً مع دلالة النص ، وذلك مثل قوله :-

" ويلمها خطة ويلم قابلها !
شربت نحاس البرق آنية الفصول
مضغت رماد الصمت باللجم المسافات
المكبة والرؤى العذراء
والصبح المعبأ بالعيون جوى
وهسهسة البكور
خرجت إلى النهر الطيور
سألته عن حلم لها
ردته بين الموج عاديات الصخور
فأجابها النهر المسافر فى عيون الدهر
غيل الوقت فى رسن التعلق بالغرق
سيف المشيئة من ورق " [١]

فقد استلهم قول " المتنبى " فى " كافور الإخشيدى " الذى يقول فيه :-

ويلمها خطة ويلم قابلها * لمثلها خلق المهرية القود [٢]

(١) قصيدة " الطيور المهاجرة " – د / الأبجدية والمدارات الأخر – ص ٢٨ – مكتبة الأسرة – الأولى ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م . ، وانظر – الأعمال الكاملة – ص ٢٦٦ .

(٢) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى – ت – مصطفى السقا وآخرين – ٢ – ٤٥ – مصطفى الحلبى ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م .

وإذ كان المتنبى قد صرح وقال :-

نامت نواطير مصر عن ثعالبها * فقد بشمن وما تفنى العناقيد

فإن " أحمد شحاتة " قد رمز فى قصيدته ، فالطيور " فى قوله :- " خرجت إلى النهر الطيور" ، هى الجماهير المصرية ، " والنهر " يمثل الشعب الذى خرج إلى الميدان يسأل عن الإنجازات التى أداها الحاكم فوجدها سلبية لا أثرلها ، وانقلبت المسافات المكبة ظهر لبطن وبطنا لظهر ، والأوقات عند البشر ضاقت . عندئذ هب الشعب يطالب بالتغيير ، وخرجت إلى النهر الطيور .

وقوله :-

ومكلف الأيام ضد طباعها * يطويه بحر لا محالة مغرق [١]

فقد استلهم فى هذا البيت قول " أبى الحسن التهامى " فى رثاء ولده فى قصيدته " حكم المنية فى البرية حار " والتى مطلعها :-

حكم المنية فى البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار

والتى يقول فيها :-

ومكلف الأيام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار [٢]

فكان استلهام " أحمد شحاتة " بمثابة التفسير للشدائد التى تواجه الإنسان فى حياته ، فهناك أمور كثيرة تقف ضد تطلعاته لأنه يواجه بواقع مرير وقيم سلبية سائدة فى المجتمع فلا بد أن يواجهها الإنسان بإيمان ويقين ونية صادقة مع المولى – سبحانه وتعالى – وإذا كان " التهامى " أتى بما يستحيل وهو : تطلب النار من الماء " . فقد أتى شاعرنا بنتيجة هذا الطلب وهو :- الغرق فى بحر عميق مغرق لانجاة منه وهو حسن تصرف من الشاعر .

(١) ديوان كلمات الى قابيل – ص ٥٩ – قصيدة " سيناء أرض الفيروز "
(٢) ديوان أبى الحسن التهامى – ص ١٤٤ – ط – الأسكندرية ١٨٩٣ م .

وقوله :-

وكنا طائرين نطير شوقا * خرافيا ومن غصن الى غصن [١]

فقد اقتبس قول شوقى :-

" تجر من فنن ساقا إلى فنن * وتسحب الذيل ترناد المؤا سينا " [٢]

فقد تأثر الشاعر فى عجز بيته بصدر بيت " أمير الشعراء " تجر من فنن ساقا إلى فنن " وإذا كان المعنى مختلفا بين الشاعرين ، فالتأثير هنا فى بنية البيت لا فى معناه .

وقوله :-

طه إمام الورى والرسل قاطبة * وقائد الغر و الأخلاق والشيم

الصادق الوعد لم يركن إلى دعة * ولم يساوم ذوى الأحلاس واللجم

دانت لعدل هداه الأرض مذعنة * واستشرفت رحمة التوحيد للأمم " [٣]

فالشاعر فى هذه الأبيات يتناص مع " البوصيرى " فى بردته والتى مطلعها :-

أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرت من مقلة بدم

والتى يقول فيها :-

فما تطاول أمال المديح إلى * ما فيه من كرم الأخلاق والشيم " [٤]

فالشاعر يفصل ما جاء فى بيت " البوصيرى" من صفات المصطفى – صلى الله عليه وسلم –وسجاياه من صدق الوعد ، وكرم الأخلاق ، والعدل والرحمة ، وعدم طاعة أهل مكة عندما عرضوا عليه وساوموه أن يكون ملكا عليهم ويترك رسالته فلم يستمع لذوى الأحلاس واللجم .

(١) قصيدة " من أوراق الماضى " – د / كلمات إلى قابيل – ص ٦٨ .
(٢) الشوقيات – ٢ / ٩٤ – مكتبة التربية – بيروت ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م .
(٣) ديوان / على ضفاف النور – قصيدة " محمد رسول الإنسانية " – ص ٦٣ .
(٤) ديوان " محمد بن سعيد البوصيرى " – ص ١١١ – دار المعرفة – بيروت – الأولى ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م .

التناص مع الشخصيات التاريخية

لم يكن ذكر الشخصيات التاريخية فى شعر " أحمد شحاتة " لمجرد التسلية ، وإنما أدرك الشاعر أهمية كل شخصية تناص معها والدور الذى تؤديه ومدى موافقته للتجربة الجديدة ، وصلاحية خدمته للفكرة التى يحاول الشاعر التأكيد عليها " فطبيعى أن الشاعر حين يوظف شخصية تراثية ، فإنه لا يوظفها من ملامحها إلا ما يتلائم وطبيعة التجربة التى يريد التعبير عنها من خلال هذه الشخصية وهو يؤول هذه الملامح مع الذى يلائم هذه التجربة" (١) .

" فالتفاعل مع الشخصية أمر تمليه الذاكرة الثقافية على الشاعر ، ذلك لأن الفنان يتعامل مع الواقع وفق منظور خاص به ، يتكون نتيجة عملية معقدة من التفاعلات والعلاقات المتشابكة بينه وبين ذلك الواقع ، بين وعيه وبيئته وشخصيته وبين ما يحتمل فى الواقع ومدى تطور الظروف التاريخية " (٢) .

ومن الشخصيات التاريخية التى تناص معها الشاعر " أحمد شحاتة " شخصية " الحسين بن على " – رضى الله عنه – وصراعه مع بنى أمية الذى أدى إلى استشهاده .

يقول الشاعر :-

بكى التاريخ وانتحبت لك الحقب * وأنت دم يثور وعزة تثب

بكتك عيون كل الخلق واشتغلت * لك المهج الحرار وهالها الخطب

بكتك الشمس قد قدت لها كبد * وراع الأفق فى أنحاءه العجب

مضى للحق حين أتته كتبهم * ومن للحق كان سواه ينتدب

ولولا صارم لله معقده * لضاع الحق وانفردت به الريب

حسين الله للتاريخ فيصله * وللرحمن روح حرة تثب

لكل الناس إن ظلموا وإن غلبوا * هو النبراس لا يرقى له غلب

على ابن أبيه لعنة ربنا أبدا * على شمر الذميم اللعن والسب (٣)

(١) استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر – على عشرى زايد – ص ١٩٠ – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

(٢) عناصر العمل الفنى " دراسة جمالية " – رمضان الصباغ – ص ٧ – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الاسكندرية – د ت .

(٣) قصيدة " الحسين بن على " – الأعمال الكاملة – ص ٤٨ .

فالشاعر يستوحى مأساة الحسين – رضى الله عنه – ورحيله إلى الكوفة إلى أن سقط شهيدا فى كربلاء ويستحضر الشاعر فى قصيدته صورة البكاء وهو ليس بكاء فقط ، وإنما بكاء لا ينتهى ما دام الكون وما دامت الحياة ، وإلحاحه على صورة البكاء يجعله من أشد الصور تعبيرا عن صدق حزنه وعن يأسه واستسلامه أمام الفراغ الذى تركة " الحسين " – رضى الله عنه – بين المسلمين وآل البيت جميعاً .

ثم يبين أنه خرج لنصرة الحق حين استنجد به أهل العراق ، فهب لنجدتهم وسعى ملبيا نداء المظلومين ، واستغاثة المقهورين ، ومن غيره يلبى النداء ؟ فهو النبراس العلم ، وابن الأنبياء ، فجده خاتم الأنبياء محمد – صلى الله عليه وسلم – وبذل الروح والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، فأنعم بالعطاء وأكرم به .

ثم نراه يصب جام غضبه ولعناته على " يزيد بن معاوية " خليفة المسلمين فى ذلك الوقت ، " وشمر بن ذى الجوشن " الذى قتل " الحسين " فى ساحة المعركة .

ومن الشخصيات التى تناص معها الشاعر شخصية " المثنى بن حارثة الشيبانى البكرى " ت ١٤ هـ والذى كلفة الخليفة ، " أبو بكر الصديق " رضى الله عنه – بقتال الفرس مع قومه ، قبل بعث " خالد بن الوليد " – رضى الله عنه – الى العراق ولما تولى " عمر بن الخطاب " الخلافة ، سير أبا عبيدة بن مسعود الثقفى الى" المثنى " ، فاستقبله المثنى ، واجتمعوا ولقوا الفرس فى " قس الناطق " واقتتلوا فاستشهد " أبو عبيدة " وجرح " المثنى " ومات فى جراحه قبل معركة القادسية [١].

يقول الشاعر مستدعياً شخصية " المثنى " عند غزو الأمريكان للعراق فى التاسع عشر من مارس عام ٢٠٠٣ م ، والتى أدت إلى احتلال العراق عسكريا من قبل " الولايات المتحدة الأمريكية ":-

قم يا مثنى فالعراق يهان
دار الخلافة بينها النيران
بغداد عاصمة الورى والكون فى
بحر الدجنة غارق ظمأن
بغداد موسيقى الزمان ببابها
وقف الهدى والعز والسلطان
طلعت على الدنيا بشمس علومها

(١) الكامل فى التاريخ – ابن الأثير الجزرى – ٩ 226 / - دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

وتخايلت بفضائها الفرسان
جاءت إلى بغداد أوجه خسة
بين الخليفة مالها عنوان
سقط من التاريخ كل حضارة
بنيانها التقتيل والعدوان
قم وادع سعدا والزبير وخالدا
وأبادجانة فالطعان رهان
وادع الذين سيوفهم موصولة
بالنور فى حد السيوف بيان
جرح الفؤاد بكل قلب مؤمن
جرح يسيل وطعنة وهوان " (١)

يصور الشاعر ما حدث فى العراق من غزو الأمريكان لها ، فالنار مشتعلة فى كل مكان وخاصة بغداد ، ثم يعرج على تاريخ بغداد فهى دار الخلافة ، ومؤئل العلوم والمعارف والعلماء والشعراء الذين توافدوا على أبوابها فى أثناء الخلافة أما الآن :- فقد اشتعلت فيها النيران ، ومحيت آثار الحضارة التى انتشرت فى جنباتها ، وعم فيها القتل والتشريد والدمار .
وعندما يئس الشاعر من المسلمين المعاصرين فى إنقاذ العراق ، نراه يصرخ ويستغيث بالأبطال السابقين من مثل " المثنى بن حارثة الشيبانى البكرى " و " سعد بن أبى وقاص " و " الزبير بن العوام " و " خالد بن الوليد " و " أبى دجانة" سماك بن خرشة " أن يعودوا النصرة العراق ، كما نصرها فى أيامهم ويعيدوا إليها مجدها الطارف والتالد .
وتناص الشاعر مع شخصية " محمد درويش زهران " الذى أعدم فى دنشواى " ففى يوم الأحد الثالث والعشرين من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وستة للميلاد وفى عهد الخديوى " عباس حلمى الثانى " و " اللورد كرومر " مندوب الإنجليز السامى على مصر ، تشكلت محاكمة خاصة ، صدرحكم مبالغ فيه ومتعسف بإعدام أربعة من أهالى قرية " دنشواى " من أعمال مركز الشهداء

(١) قصيدة " رسالة إلى المثنى بن حارثة " – الأعمال الكاملة – ص ٢١٤ .

بمحافظة المنوفية وعلى رأسهم "محمد درويش زهران " والذى تناص الشاعر " أحمد شحاتة " مع شخصيته قائلا:-

واقف كالنخيل
دمه جذوة
أغنيات المدى
يبرق الوجه
يسكبها للضحى
واخضرار الحقول، عبير البنفسج
بين الفؤاد وبين الشفاه
غناء صحا
كانت الأرض بكرًا به
لم يخالط تقاسيمه الظل
لم يزدرد طعم جرح
ولم يسترح عقرب الضيم
عند المقيل إلى كوبه
كان دون علم الكتابة
أحلى كتاب
فارسا من دروب الحقيقة
من النهر والطمى والأنجم الوارفات
الطليقة " (١)

يصور الشاعر عظمة الإنسان المصرى الذى يأبى الضيم ، وتأبى شكيمته الظلم والهوان ، وذلك متمثلا فى البطل " محمد درويش زهران " ، الذى أقبل على الموت فى عز وإباء ، فدمه جذوة نار ، ووجهه يبرق كالعالم ، ولم يركن إلى السكينة والاستسلام ، فطبيعته حره كما خلقها المولى – سبحانه وتعالى – ، كل هذه المعانى وغيرها يهديها هذا البطل للأرض والأيام والبلاد العربية المحتلة من قبل الإنجليز وغيرهم .

(١) قصيدة " زهران دنشواى مطلع النشيد – الأعمال الكاملة – ص ٣٠٠ .

التناص مع المصدر التاريخى

لا يستطيع أحد أن ينكر فضل دراسة التاريخ والاستفادة منه من ربط حاضر الأمة بماضيها ، وتحقق الأخبار من عدمها ، وقربها من بعدها ،" ويمتد الزمن عبر التاريخ وتتعاقب الأجيال على هذه البسيطة فتنشأ الصراعات الإنسانية وتنحسر مهما كانت دوافعها ، فلكل أمة تاريخ ولكل شعب بقعة مكانية يحيا عليها كارها أو راغباً ، أما الصراعات فتنمو داخل النفس الإنسانية وخارجها ، والشاعر فرد فى جماعة يعيش تلك الصراعات ثم تنشأ فى نفسه طاقة مكبوتة يسعى الى تفريغها ، فتمر أثناء ذلك فى مخيلته صور مختلفة لتلتقى كل صورة بمثيلتها ، وتتداخل تلك الصور وتتصهر لتتشكل من جديد فى قالبها اللغوى محملة بأبعاد واقعية ونفسية وخيالية ، فيتحد الماضى بالحاضر ، والقريب بالبعيد ، والواقعى بالمتخيل ، فيهيمن التاريخ على بعض تلك الصور ، ومن هنا ينشأ التناص التاريخى بمختلف تفاصيله " [١].

ويقصد به : " ذلك التناص النابع من تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلى للقصيدة ، وتبدو مناسبة ومنسجمة مع التجربة الإبداعية للشاعر ، وتكسب العمل الأدبى ثراء وارتفاعا "[٢] .

وقد استحضر الشاعر " أحمد شحاتة " بعض المواقف التاريخية ، والأحداث المنقضية ، فضمنها تجربته الشعرية الجديدة مختلفا عنهم فى طريقة التعبير عن التاريخ .

ومن هذه الأحداث " موقعة المنصورة " التى وقعت على أرضها ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م . ، وانتصر فيها المسلمون ، وتم أسر لويس التاسع " ملك فرنسا " قائد تلك الحملة الصليبية ، وأودع بيت قاضى القضاة " عبد الرحمن بن لقمان " وكلفوا " الطواشى صبيح " بحراسته ، ومازال لهذه الصورة التجسيم وما زالت دار " القاضى" باقية إلى اليوم " [٣].

---

(١) التناص الدينى والتاريخى فى شعر محمود درويش– ابتسام أبو شرار – ص ١٨٣ " رسالة ماجستير " – جامعه الخليل ٢٠٠٧ م ١٤٢٧ هـ .

(٢) التناص تنظيريا وتطبيقيا " مقدمة تطبيقية للتناص فى رواية " رؤيا " هاشم غرابية– أ حمد الزغبى – ص ٢٩ – مكتبة الكنائى – أربد ١٩٩٣ م ١٤١٣ هـ .

(٣) مقدمة قصيدة " حدث الرياح " – الأعمال الكاملة – أحمد شحاتة – ص ٣١١ .

يقول الشاعر :-

جزيرة روض المنى قد أتيت
أعانق فيك احتدام البطولة
وأستاف منك أريج صباها
بأغصانها الباسقات الظليلة
فقيد " لويس " بكف صبيح
يغرد ملء بروج السماء
ويهدى الغناء إلى الأنجم
وهذى الرياح بتسآلها
وحيرتها بالمدى المبهم
لأنفاس فجر الزمان تغنى
وتعزف شوق الفؤاد الظمى
وتنزف كل أماسيها
لحون المرافئ للموسم " [1]

فعند زيارة الشاعر " لدار بن لقمان " بالمنصورة ، يتذكر أحداث هذه المعركة ، ويعقد مقارنة بين الأمس واليوم ، فاليوم يختلف عن الأمس، فالأمس كان مبهماً ومبشراً ، استطاع المصريون هزيمة فرنسا وأسر قائد جيشها .

أما اليوم : فهزيمة ومرارة وتشرد وانكسار ، وهذى الرياح تسأل وهى محتارة عن المدى المبهم ، أى الواقع الذى نعيشه من رؤيا انهزامية لا نستطيع معها رد كيد المعتدى كما كان فى الماضى .

ومن ثم : فإن الفؤاد والأماسى والموانئ فى شوق إلى هذه الأيام السالفة المليئة بذكريات النصر وعبيره .

(١) قصيدة حدث الرياح – الأعمال الكاملة – ص ٣١١ .

الخاتمة

أحمدك اللهم حمداً يليق بجلالك وعظيم سلطانك ، وأصلى وأسلم على خير خلقك محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

" وبعد "

توقفت هذه الدراسة حول مصطلح " التناص فى شعر أحمد عبد الحفيظ شحاتة " وقد تمثل ذلك فى التناص الدينى والتناص مع الشخصيات التاريخية والشعر العربى .

وقد تمخضت هذه الدراسة عن النتائج الآتية :-

أولاً :- المصدر الدينى من أهم المصادر التى كان لها حضور بارز فى تناص الشاعر " أحمد شحاتة " وهذا راجع إلى نشأته الريفية والدينية التى درج عليها .

ثانياً :- كان للشخصيات التراثية حضورها فى تجربة الشاعر ، ولذا كان استدعاء تلك الشخصيات ليبوح الشاعر من خلالها بالآمه وآماله فيتخذ منها قناعا يتستر خلفه ليقول ما يشاء .

ثالثاً :- كان لهذا المصطلح الحداثى بذور فى نقدنا العربى القديم من خلال المصطلحات النقدية القديمة " الاقتباس " والتضمين والسرقة ، التى تتقاطع فى وظيفتها مع هذا المصطلح الجديد وتشبهه الى حد كبير ، مما يؤكد أن هذه المصطلحات بعض التناص وليس كل التناص .

رابعاً :- تعددت محاور التناص لدى الشاعر مما شكل زخما فكريا وفنياً ، أضفى على القصيدة روح العصر وعبق الماضى .

وأخيرا :-

فلست أدعى أن هذا العمل تبوأ ذروة الكمال ، إذ إن الكمال لله – سبحانه وتعالى – وحده والنقص من طبيعة البشر ، غاية الأمر أنى ثابرت وصح منى العزم فإن حالف هذا العمل التوفيق فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى اجتهدت .

" إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

أولاً :- المصادر والمراجع

١ – استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر – على عشرى زايد – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
٢ – استلهام القرآن الكريم فى شعر أمل دنقل – د / إخلاص فخرى عمارة – دار الأمين – القاهرة – الأولى ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
٣ – الأعمال الشعرية الكاملة – أحمد شحاتة – دار الوثائق الجامعية ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٧ م
٤ – افتتاح النص الروائى " النص والسياق " سعد يقطين – المركز الثقافى العربى – بيروت – الأولى ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .
٥ – انفتاح النص الروائى – سعد يقطين – المركز الثقافى العربى – ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م
٦ – تاج العروس من جواهر القاموس – محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسينى أبو الفيض الملقب بمرتضى الذبيدى – ت / مجموعة من المحققين – دار الهداية – الكويت – د ت .
٧ –التناص نظرياً وتطبيقياً – أحمد الزغبى – مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – عمان ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .
٨ – التناص نظريا وتطبيقياً مقدمة تطبيقية للتناص فى رواية " رؤيا لهاشم غرايبة " – أحمد الزغبى – مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – عمان ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .
٩ – الحيوان – الجاحظ – ت / عبد السلام هارون – دار الكتاب العربى – بيروت – دت
١٠ – الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – عبد الله الغذامى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الرابعة ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .
١١ – دراسات فى النص والتناصية – ليون سومفيل – ترجمة / محمد خير البقاعى – مركز الإنماء الحضارى – حلب ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .
١٢ – دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجانى – قرأه وعلق عليه /محمود شاكر – مكتبة الخانجى – القاهرة ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .
١٣ – ديوان / الأبجدية والمدارات الأخر – أحمد عبد الحفيظ شحاتة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .
١٤– ديوان / أبى الحسن التهامى – ط / الأسكندرية ١٨٩٣ م .
١٥–ديوان الأخطل – تحقيق / فخر الدين قباوة – دار الفكر المعاصر – بيروت – الرابعة ١٩٦٩ .
١٦ – ديوان أغصان الضوء – أحمد شحاتة – مطبعة غباشى – طنطا ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م .
١٧ – ديوان امرئ القيس – ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – الثالثة ١٩٦٩ م .
١٨ – ديوان البوصيرى – محمد بن سعيد البوصيرى – دار المعرفة – بيروت – الأولى ١٤١٨ هـ ، ٢٠٠٧ م .

١٩ – ديوان حريق الرماد وتراجيع الفؤاد – أحمد شحاتة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٧ م .
٢٠ –ديوان حسان بن ثابت – ت / وليد عرفت – دار صادر – بيروت ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م .
٢١ – ديوان رحلة خارج الأفق – أحمد شحاتة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥م .
٢٢ – ديوان زهير – شرح ودراسة / ابراهيم قميحة – دار الشواف للطباعة والنشر – الرياض – الأولى ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .
٢٣ – ديوان الشوقيات – أحمد شوقى – مكتبة التربية – بيروت ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م .
٢٤ - ديوان على ضفاف النور – أحمد شحاتة – دار الوثائق الجامعية ١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٥ م .
٢٥ –ديوان / كلمات إلى قابيل – أحمد شحاتة – تقديم د /بسيم عبد العظيم – دار الوثائق الجامعية – الأولى ١٤٣٨ هـ ، ٢٠١٧ م .
٢٦ –سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأحواله فى المبدأ والمعاد – محمد بن يوسف الشامى – ت / عادل عبد الموجود /على عوض – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م .
٢٧ – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السئ فى الأمة– لأبى عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألبانى – دار المعارف – الرياض – الأولى ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م .
٢٨ - سنن أبى داود – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى – ت / شعيب الأرنؤوط / محمد كامل قرة – دار الرسالة العلمية – الأولى ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م .
٢٩ –صفوة التفاسير /محمد على الصابونى – دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ١٤٠٣ هـ ، ١٩٩٣ م .
٣٠ –الصوفية فى الشعر المغربى المعاصر – محمد بن عمارة – شركة النشر والتوزيع – المغرب – الأولى ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م .
٣١ – علم النص – جولياكريستفيا – ترجمة / فريد الزاهى – مراجعة / عبد الجليل ناظم – دار توبقال للنشر – المغرب – الأولى ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .
٣٢ –عناصر العمل الفنى " دراسة جمالية " – رمضان الصباغ – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الأسكندرية – د ت .
٣٣ – قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى – محمد عبد المطلب – بيروت – الأولى – د ت .
٣٤ – الكامل فى التاريخ – ابن الأثير الجزرى – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م
٣٥ –المبدأ الحوارى –باختين – ترجمة / فخرى صالح – دار الشؤون الثقافية – بغداد – الأولى ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م .

٣٦ – المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم بن عبد الله النيسابورى – ت / مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .
٣٧ –المسيار فى النقد الأدبى – حسن جمعة– منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م .
٣٨ – مصطلح التناص فى خطاب محمد عزام " كتاب النص الغائب أنموذجا " – عمر شادلى – ط / جامعه قاصدى مرباح – كلية الآداب – الجزائر ١٤٣١ هـ ، ٢٠١١ م
٣٩ –المقدمة – عبد الرحمن بن خلدون – دار إحياء التراث العربى – بيروت – د ت .
٤٠ – من أدباء المنوفية – عبد الرحمن البجاوى – دار الوثائق الجامعية – القاهرة ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م .
٤١ – المنجد فى اللغة– على بن الحسين الأزدى – ت /أحمد مختار عمر – ضاحى عبد الباقى – عالم الكتب – القاهرة ـ ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .
٤٢ – نظرية النص – رولانبارث – ترجمة /محمد خير البقاعى ـ ط / مجلة العرب والفكر العالمى – بيروت – الأولى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .
٤٣ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان – ت – د / إحسان عباس – دار صادر – بيروت ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .

ثانياً :- الدوريات

١ –التناص " النشأة والمفهوم " جدارية محمود درويش أنموذجا – إيمان الشنينى – مجلة أفق الإلكترونية – العدد ٣٨ – لسنة ٢٠٠٣ م .
٢ – التفاعل النصى والترابط النصى بين نظرية النص والإعلاميات – سعد يقطين – مجلة علامات – المجلد الثامن – العدد ٣٢ صفر ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠١ م .

ثالثاً :- رسائل جامعية

١ – التناص فى شعر سليمان العيسى – نزار عيشى – رسالة ماجستير – جامعة البعث – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ م .
٢ – التناص الدينى والتاريخى فى شعر محمود درويش– ابتسام أبو شرار – رسالة ماجستير – جامعة الخليل ٢٠٠٧ م .

رابعاً:- مقابلات شخصية

١ – أحاديث متفرقة مع الشاعر فى منزله بمدينة شبين الكوم / بمحافظة المنوفية بتاريخ ١٠/ ٢ – ٢٠ / ٢ ، ١٠/ ٣ / ٢٠١٩ م .